حِكَايَاتُ العُشَّاقِ

أشرف بيدس

سما للنشر والتوزيع

المجموعة الدولية
للنشر والتوزيع

حكايات العشاق

lovers stories

لكل منا قصة، اكتملت فصولها، أو شاء القدر ألا تكتمل، سعيدة كانت أم تعيسة، تحاول هذه الحكايات أن ترصدها بأمانة وموضوعية وبلسان أبطالها دون افتئات أو مبالغة، وأظن أنني لم أستطع رصد كل الحالات، فهناك ما كان جديرا بالحكي، ولم تسعفني الظروف أو الابطال الحقيقيين لسرده، لكني راعيت أن أسطر تجارب ما توافر لدي ممن تذوقوا العسل أو تجرعوا المرارة كل حسب مقتضيات حكايته.

ورغم أن الكلمات أحيانا تساعدنا علي عودة الايام لذاكرتها الأولي، يظل الشعور باللحظة الفائتة واستدعائها، غاية صعبة المنال، فما فات قد فات.

الغريب أن القصص التي لم تكتب لها نهايات سعيدة ظلت هي الأروج والأشهر علي مر الزمان، وتناقلتها الألسن بك
في بعض الأحيان، إلا أن ذلك لم ينفي أن هناك من أ
وقاتلوا من أجله فنعموا به.

تصميم الغلاف : إيمان صلاح

ISBN 978-977-6451-39-1
9 789776 451391

التوزيع
المجموعة الدولية
للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة للناشر

لتحميل المزيد من الكتب

تفضلوا بزيارة موقعنا

www.books4arab.me

حكايات العشاق

تأليف

أشـــرف بيـــدس

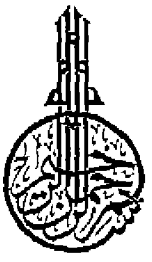

العنـــوان: حكايات العشاق

المـــؤلـــف: أشـــرف بيـــدس

إشراف عـام: نجـــلاء قاســـم

الناشـــر

25 امتداد ولي العهد حدائق القبة
تليفون: 24517300 - 01271919100
emil: samanasher@yahoo.com

التوزيـــع

المجموعة الدولية
للنشـــر والتـــوزيـــع

80 ش طومان باي - الزيتون - القاهرة
تليفون: 24518068 - 01099998240
emil. aldawleah_group1@yahoo.com

تصميم الغلاف: إيمان صلاح
إخراج داخلي: معتز حسنين

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
يحظر طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي من الناشر فقط.

الترقيم الدولي: 978-977-6451-39-1
رقم الإيداع: 2013 / 23591
الطبعة الثانية: يناير 2015

إلـــى العمـــة فوزيـــة عيســـوى

التـــي علـمـتـنـــى

كيف أحب الحيـــاة

أشـــرف بيـدس

لكل منا قصة، اكتملت فصولها، أو شاء القدر ألا تكتمل، سعيدة كانت أم تعيسة، تحاول هذه الحكايات أن ترصدها بأمانة وموضوعية وبلسان أبطالها دون افتئات أو مبالغة، وأظن أنني لم أستطع رصد كل الحالات، فهناك ما كان جديرا بالحكي، ولم تسعفني الظروف أو الابطال الحقيقيين لسرده، لكني راعيت أن أسطر تجارب ما توافر لدي ممن تذوقوا العسل أو تجرعوا المرارة كل حسب مقتضيات حكايته.

ورغم أن الكلمات أحيانا تساعدنا علي عودة الايام لذاكرتها الأولي، يظل الشعور باللحظة الفائتة واستدعائها، غاية صعبة المنال، فما فات قد فات.

الغريب أن القصص التي لم تكتب لها نهايات سعيدة ظلت هي الأروج والأشهر علي مر الزمان، وتناقلتها الألسن بكثير من المبالغة في بعض الأحيان، إلا أن ذلك لم ينفي أن هناك من أخلصوا للحب وقاتلوا من أجله فنعموا به.

بقى أن اقدم اعتذاري لكل الذين أفشيت أسرارهم وكتبت حكايتهم دون إذن مسبق منهم، وقد راعيت ألا أرمز إليهم بعلامات أو إشارات حتي لا يفتضح أمرهم، وعزائي أنني قصدت تخليدهم أكثر من التشهير بهم، فلولاهم ما كانت هذه الحكايات.

أخيرا.. ليس كل العشاق سعداء، بل أغلبهم عاشوا أياما حزينة ولحظات مريرة، ومنهم من دفع حياته ثمنا لهذا الحب، فإلي كل المعذبين والمعذبات أقدم إليهم هذه الحكايات التي أتمني أن تكون قد ارتقت لمشاعرهم النبيلة وتضحياتهم الكبيرة، علها تكون عوضا ولو ضئيلا لما لحق بهم.

أشرف بيدس

(1)

شهريار يحكى

كانت حبيبتي مثل زهرة البنفسج ترتعد إذا ما داعبتها نزوات النسيم، تستقبل كل صباح الشمس لتضع القرنفل على خدها الارجواني المشتعل.. وتتكحل الأزهار من نور عيونها. ويحاول القمر التلصص عليها ليلا حتي يسطو علي بعض من ضياءها فيزداد بهاءا ونورا.. حبيبتي عندما تفتح فمها ينطلق الفل والياسمين والريحان ليبدأ الربيع دورته.. وعندما تبكى تسقط الأمطار من السماء فيغرق من حولها.. وعندما تضحك تتبسم البراعم واليارات والعصافير.. كانت حبيبتي تملك قلباً يستوعب كل أخطاء البشر وحماقاتهم.. فتحت الكتب التاريخ والأساطير لتروي قصتها علي ألسنة العاشقين، ودون شهرزاد لا معني لكل حكايات الحب التي تناقلت عبر السنوات والحقب.

كنا نلتقي هناك بعيدا، فيما وراء الأشجار والعمران والبشر، في عمق المسافات الشاسعة، والخلاء المترامي الاطراف، عندما كانت الرمال اختراع لم يكتشف وسر من اسرار الحياة.. والشواطئ جزر نائية لم تطأها أقدام ولم تراها عين.. كتبت أساميا على صفحة المياه الناقية.. وتحاملت الأمواج على نفسها حتي لا تمحى حرفا من حروفنا، وبدا

الكون لنا وحدنا نمرح ونلهو فيه كيفما شئنا، وعندما تفشي سرنا وصار مشاع، هرول العاشقين إلينا، وأصبح النزول للبحر عادة، اعتادوا عليها للتيمن ببقاء الحب مدى الحياة..

حبيبني.. تسافر أحلامك فى أيامى، تنساب وتتسلل وتحتل الواقع والخيال، تنتقى الأيام الخضراء، وتطرد كل الكوابيس الحزينة.. تغسل حياتي من كل سوءاتها وتشفيني من رغباتي الآثمة.. نجرى على الشاطئ، حتي نرهق الرمال، نطوف يمينا ويسار، نقطع المسافات الطويلة ذهابا وايابا دون أن نشعر بالتعب، وبعد ذلك تبدأ رحلة السباحة في قاع المحيط، نعيش الطفولة بكل فوضيتها.. لا أحد يرصدنا أو يتحسس خطانا.. وعندما نطفو إلى السطح حيث الرمال الناعمة، ورذاذ الماء يتساقط على شفاتينا، نذوب فيه ويذوب فينا.. ونرتشف من النشوة لحظات الخلود.

كان يخيل لي أن حلول صباح جديد علينا سيفقدنا جزء من نشوة اللقاء وشهوة الحكاية، بعدما اعتدنا علي المكان بكل ما يحمله من وهج، ويأتي اليوم التالي أكثر ألقا من ذي قبل، وتزداد حكاية شهرزاد عنفوان وطزاجة وقدرات هائلة علي بعث الاندهاش والشغف. كنا ندشن للعشاق كل يوم قصة جديدة.. تتلي كلمات لم تنطق من قبل، وأحاسيس لم تحس، وتواصل عبقري للاكتمال والانصهار والتوحد في مشاهد عاطفية استثنائية خارج نطاق حدود البشر، تدوم الشمس ولا تغيب، تتحرج أن تمضى فى حضرتك، وتخشي أن يفوتها تفصيلة من هذا العرس الخرافي.. يلتف حولنا النورس يؤذن فى المكان ويشيع البهجة والألفة والتراحم بين سائر الكائنات التي تتوافد مع انسياب رائحة الأزهار المنتشرة بوفرة.. ويقف القمر حزينا منتظرا

بالساعات راغبا في المشاركة، وعندما ينتابه القلق، تتحرج الشمس وتبدأ في الرحيل ليهل علينا بصحبة نجومه المتلألأة وكأنها مصابيح نور تسرد الطمأنينة والونس.. لم تنته حكايتي بعد يا شهرزاد، مازال بالبستان زهور لم يرها أحد من قبل.. بدرت فى الأرض لك وحدك.. ولا يعلم أحد عنها شيئا، وأن عيناكى هى أول من تراها.. ويداك أول من يحتضنها ويتحسسها.. فبدلا من أن تتنسمى ريحقها يتسلل هو إليك كى يستزيد بك.. ستظل حكايتك زادا يجتره العاشقون عندما تفيض مشاعرهم.

(2)

عاشق كل العصور

لم أفاجأ بكلماتك الحالمة السابحة.. الملتهبة بحرارة الشمس.. الدافئة بنور القمر، الحانية مثل ضحك الأطفال ونقاء قلوبهم، بل لن أكون مغرورة إذا قلت أننى كتبتها معك.. أمليتها عليك، وحرضتك على البوح بها.. فقد عايشت الاسطورة معك، وشاركت في تفاصيلها، ورسمنا سويا ملامحها بالمشاعر والكلمات.. كنت أعلم أنك أفضل العاشقين.. لكن الزمان البخيل لم يعطك الفرصة الحقيقية للتعبير عن إمكاناتك الهائلة وقدراتك الخرافية، كان الامتحان فقيرا جدا ومتواضعا، لم يرتق لمشاعرك الفياضة التي تسكب كل صباح فى مياه النهر زرقته ولمعانه وصفائه.. وتلون الفراشات، وتثمر الأشجار، وتعزف موسيقي تستمد منها الطيور أنغامها، كما أنها تمنح البائسين فرصة أخرى للتعاطى مع الحياة ونسيان الجروح الغائرة فى صدورهم.

ظلمك التاريخ يا شهريار ولم تأخذ حقوقك الكاملة، لم ينصفك أحد، صادفك نساء بائسات غير ملهمات، استفدن من شهرتك، وعبئن السحر من عينيك دون حدود وكيفما شئن، وكنت كريما معهن لحد السخاء، وعندما خرجن من مملكتك بسبب برودتهن وكشف

اطماعهـن، رددن الحكايـات الكاذبـة والملفقـة بأنـك تقطـع رقابهـن وتسـتبيح دمائهـن، ولأن هنـاك رجـال يغـارون منك أشـاعوها في البر والبحر والجو بغية القصاص، وعاقبوك علي أن النسـاء اللائي افترشـن الأرض تحت اقدامك اعتزلوا العشق، فلم يجدن من يعوضهن عن تلك الأيام التي عشـهن في قصرك، ولـم يمسـهن رجل آخر، فكانت تهمتك الحقيقية أنك كشـف عن دون قصد سـوءات الرجال ونواقصهم، بينما النسـاء، كل النسـاء حتي من طردن يعشـقونك ويفتتون بك، فأنت أول الرجال وآخرهم.

الحـب هـو الكلمة السـحرية التي تفتـت الصخر، وتذيـب الجليد، وتضيـق المسـافات.. الحـب هـو الـذى يحمـل نسـمات الربيـع لكل المعذبيـن والصابريـن والأملين فى غـد جميل تظللـه رياحين الأمل.. الحب هو الذى يبدل الأشـياء ويغيرها.. يجعل الدنيا لها أشكال أخرى غيـر تلك التـي اعتدنا عليها.. ولأنك كل هذه المعاني الجميلة، فأن أي علاقـة لا تكـون أنت الطـرف الثاني فيهـا تبقي وهما وخرافـة، فدونك تفقد الحكايات غوايتها وسلاسـتها، ولـم يعد بها شيئا يذكر فأنت نشوة المعانـي واكتمـال التفاصيل.. وأنـت أصل الأشـياء ومنتهاها.. فعندك يبدأ العاشقون الحكى وعندك ينتهى الكلام.

يزحـف صباحى علـى عتبة أيامـك، يترجى إذن ببداية يـوم جديد.. وعندمـا تشـرق فيه عيناك، يبدو وضاحا مشمسـا عفيـا وجميلا.. فرفقا أنـت بـي، وكن بخيلا فـي عطائـك.. لم أعـد أحتمل كل هذا العشـق، فككت اللجام عن كلماتي حتي طافت فى سـمائك تحدث العاشـقون عما حل بها.. خرجت الحروف من القمقم الذى ظلت حبيسة به قرون مـن الزمـان، وأصبح مـن الصعب عليهـا الرجوع مرة أخرى، تنسـمت

مـن عبيـرك وتفتحت فـى وجنتيك، وذابـت فى ربوعك، وانتشـت من سـحر شـفتيك.. فكيف أطلـب منهـا الرجـوع والغرق مـرة أخرى فى محيط أحزاني.. كانت أشـعارى قبلك مكسورة القوافى لا وزن لها ولا قيمة.. لكنك جعلتها تسـتعيد بكارتها ونضارتها وجسـارتها.. ترتشف مـن النهر حبـات اللؤلؤ، وتحلق فى السـماء حاملة النجـوم لترصع بها تـاج مملكتك.. كانت أبياتـي قبلك خارج الخدمـة والحدود والمنطق والعقـل، والآن أصبحـت أغانـى للعاشـقين والحالميـن بقصيدة حب خالـدة. فهل ارتقت لغتي المتواضعة لتقترب من عرشـك يا أميري..أم مازالت هناك عبارات لم يخطها قلمى..

(3)

ليلة زفاف

الليلة ستزفين لرجل آخر، يمنحك الحب والسعادة، وتضعين تحت حذاءه كل كبريائك وكرامتك، ستلقين بنفسك في أحضانه وتمرحين عبر أنفاسه وتنهداته وتتوسلين المتعة، ربما ترقصين حتي الصباح علي اشلاء عشقك القديم وتدفعين قدميك يمينا ويسارا في احشائي علي أنغام تلك الموسيقي الرخيصة التي تجيدين الترنح عليها، وتقدمين إليه كل ما لذ وطاب، وتغنين أغنياتك الهابطة التي تدغدغ مشاعره وتقوي من عزيمته لمعركة يحتاج فيها للتركيز، وسأتحول أنا بكل ذكرياتي إلي علاقة محرمة ومشبوهة، أو بقايا من سنوات ضياع تشتاقين لانتزاعها من دفتر أيامك.

أعلم أن وقت الكلام قد فات.. لكنها هلاوس الصدمة وشطحات قارورة الخمر التي احتسيتها من بدايات النهار حتي لحظة البشارة والتي ستنقلك من العذرية إلي قفص الحريم.. عشمت نفسي بنهايات ترتقي إلى التقدير أو التمثيل المشرف، ولكنك كنت الأسرع في ضربة الغدر، ظنا منك أن الفرصة قد لا تأتي إليك ثانية.. وجاء هروبك المفاجئ لتجنب المواجهة والمكاشفة وتبرير الرحيل المشروط، وكان يكفي أن

تصارحيني برغبتك لأرتب لك نهاية مشرفة تليق بعلاقتنا، فخضوعك مع أول اشارة من أول رجل تلتقيه صدفة بالطريق العام أمرا ينقص من شأنك، ويسبب لي حرجا وألم، ليس لفقدانك التي اشتهيته، ولكن لأنه يدلل علي أنني اخترت أحط بنات حواء، كان عليك التمهل قليلا ليس للتفكير، فقرارك ولهاثك كان منطقيا يتفق وطباعك السيئة، ولكن لادعاء الاستغناء، فحتي بنات الليل يأخذون وقتا في التفاوض والمساومة.

لم يكن غضباً منك، فهذا شرف لا تستحقينه وينقص من شأني، فافعالك تنزع عنها صفة الطهارة، وحزني وحيرتي سببهما قصر تفكيرك وانحدار أغراضك، وتسرعك الذي افقدك نهاية محترمة لعلاقة متدنية، ولكن ما المدهش في هذه النهاية التي تتفق وتنسجم مع كل طباعك الشهوانية والشريرة، فليس مطروحا في الخيال أرقي من ذلك.

ستنقضي ليلتك علي أية حال، فبعد أن تلم سوادها واحمرارها وصراخاتها وتشبعين غرائزك الجائعة، وينطفئ وهج الشهوة المشتعل داخلك، سيشرق صباح جديد عليك، وعندها ابدأي صفحة جديدة، وأياك أن تمارسي عاداتك القديمة علي العاشق الجديد الذي لازال يسبح في العسل الحلو، فأكاذيبك مكشوفة وساذجة، لا تنطلي علي طفل صغير، وأن كنت بالماضي اغريتك بنقاءها، فذلك كان حرصا مني عليك، كنت أعلم أن حمرة وجهك ليست انكسارا أو خجلا، وانما نوع رخيص من المكياج يباع علي ارصفة الحواري التي كنت تسكنين في إحدى بناياتها.

نصيحتي الأخيرة أن تنزعي كل الاقنعة التي ترتديها فهي لا تفلح في اخفاء ملامحك، وتجعلك مسخة تثير الضحك والاشمئزاز، وأحذري

أن تمارسي معه ما كنت تمارسيه معي، فغباءك لن يحتمله رجل غبي غيري، ادعوك مخلصا أن تتخلصي من كل صفاتك وطباعك الكئيبة، وأن تحاولي أن تعيشي حياة جديدة بلا كذب أو تمثيل، فأدائك سوقي جدا ومكشوف، أرجو الا تفهمي كلامي خطأ فلا اقصد التحقير من شأنك، ولكني أكثر الناس رغبة في دوام علاقتك واستقرارها، حتي لا تلقي بك مقاديرك مرة أخري في طريقي، فيشفق قلبي عليك وأحن لتلك الأيام القديمة.

(4)

المخمور

ليس علي المخمور حرج، فهل فرغت من الخمر حتي تستوعب كلماتي؟ أم مازلت تقع تحت شطحات الترنح وعدم الاتزان، الشرب هي عادتك الأثرة التي حرصت علي ممارساتها بانتظام ودأب شديدين، وهذا ما جعلك أغلب الوقت خارج سياق الاحترام، تتجرع الخمر لتتوه في عالمك الافتراضي، وعندما يذهب مفعوله تعيد الكرة مرة أخري، وهكذا كنت وستظل في حالة غياب متواصل، لكن ما أدهشني هي قدرتك علي كتابة رسالة متسقة من ناحية الشكل، أما المضمون فذلك ما نحتاج أن نتكلم فيه قليلا..

تخيلت أن زفافي سيرفع عن كاهلك عبئا كبيرا وخطيئة نجحت في الفرار منها بقائمة طويلة من الأعذار منعتك من تصحيح ما فعله الخمر في ليلة سوداء تشبه قلبك الدامي، نعم وضعت كبريائي تحت حذاء من منحني شرف الانتساب إليه ورد لي كرامتي التي نهشتها غريزتك وشهوتك الحيوانية، وأحسست بالفخر والامتنان الشديد، ورقصنا حتي الصباح، معا، رقصنا حتي الصباح معا فلم يتركني وحدي، حتي

الرقص يشاركني فيه، انه رجل من طراز فريد يصعب علي أمثالك الاقتراب منهم.

تقول عشمت نفسك بنهاية مشرفة، كيف؟ أن أذهب إليك اترجي العفو والسماح، واتوسل لتمنحني موافقتك علي استرداد كرامتي المهدرة، أو أن امنحك ليلة محمومة غارقة في الوحل تستعيد فيها رجولتك المفقودة، ألم تشبع يا شهريار من الف ليلة وليلة، أعلم أن مأساتك الكبري هي أنك رجلا لا تتكامل فحولته إلا من خلالي، لأنني أدرك جيدا نواقصك التي تمنعك شجاعتك من البوح بها، لكني امرأة تصلح لكل زمان ومكان. فلم أعد استعمل الآن مكياجا رخيصا، فقد نسيت أنك كنت من تحضره لي، ولكنها الخمر لعنها الله.

لن تنقضي ليلة حبي، فليلتي طويلة جدا وممتدة حتي نهايات العمر، وليس لدي أقنعة اتخفي وراءها، فقناعي القبيح نزعته وألقيت به في سلة المهملات، حتي عندما فاق من غفلته راح يمطرني بكلمات عن العفة والشرف والطهارة، وهو أبعد ما يكون عن حرف من حروفها، فأهدأ أنت وحاول التماسك، وعندما تفشل عليك بقارورة خمر أخري تذهب بما تبقي من عقلك، وتغيب وعيك السابح في الخيلاء والأوهام.

اطمئنك ستستمر حياتي طالما أنت لست فيها، وحاول أن تستوعب ما سألقيه عليك الآن، ربما ينفجر رأسك عندما تقرأه، اكتب إليك هذه المرثية الأخيرة وأنا أنعم بأنفاس حبيبي وتنهداته، حتي عندما يعجز قلمي عن الكتابة وأجد حرجا في الاستمرار، يسرع حبيبي ويلقي علي بالعبارات والجمل، ولأنه رجل نادر في زمن يزدحم بأنصاف الرجال من أمثالك، لم أخف عنه تفصيلة أو شاردة، اخبرته بكل شيء، فسامحني وأكثر من ذلك.

انتهت القصة الفاشلة الخائبة بغير رجعة، وللأسف لم تكن البطل، فأنت مجرد محطة التقي عليها الابطال الفعليين، يمكنك الآن أن تشرب أكثر وأكثر حتي يتسمم جلدك وينقضي أجلك، وأعدك أن تنزل تترات النهاية عليك ممسكا بالكأس وأن تلفظ أنفاسك الآخيرة، بينما أنا وحبيبي في قبلة ليست أخيرة لا ينطفئ فيها وهج العشق المشتعل، حتي يشرق علينا صباح جديد انت ليس فيه.

(5)

بيت لحم

الليلة شديدة البرودة.. يصفر الريح فى نوافذى وفى أيامى الفائتة.. يوقظ الذكريات التي ظننت أنها دفنت بأعماقى بعدما توالت عليها السنين، وكثرت التجارب والمحن، وها هى تعود الآن بغير استئذان تقلق نومى، وتحرك تلك الاحاسيس الخامدة الراكدة، تداعبنى وتدغدغنى، وتشطرنى مرة أخرى نصفين، تفتح صناديق الاسرار التي حرصت أن اخفيها.. وتعود الذكريات القديمة حاملة معها عبق الماضى وآلامه، عندما تكاثر الثلج الأبيض واحتل الأركان والزوايا.. وتراكم فوق الأرصفة الساكنة، حتي بدا الأسفلت المبلل المضئ فى العتمة وكأنه قطع من الماس غسلتها الأمطار.. اتذكر تلك الليلة.. ليلة عيد الميلاد.. حينما كنا نتصعلك أنا وأنت فى شوارع «بيت لحم» العتيقة ونكتب قصة عشق لم تكتمل..

عندما تقترب ليلة عيد الميلاد،.. تقترب معها أوجاعى المخبأة فى صدري.. وتقفز الصور والأحداث أمام عيني..تروى ما حدث من جديد.. فى الليلة الأخيرة للقائنا الأخير.. كل شيء يحضر فجأة.. كانت زيارتي الأولى للوطن الجريح، وتشابكت داخلى كل المتناقضات

الحلوة والمرة من سخط على الظلم، وشغف بالمعرفة.. ثورة على حال المعذبين، وتأمل لعبقرية المكان وناسه الرائعين، وحالة من فقدان الوعى كانت تنتابنى وتنقشع بالاقتراب من تلك الوجوه الحانية، وكلماتك العاتبة عندما تلاقت العيون لأول مرة : «زيارتك قصيرة جدا ويجب عليك الاستفادة من الوقت المتبقى، وسأبدأ انا باصطحابك باكرا حتي تتعرف على وطنك الجميل ويتضاعف حزنك عن اشياء تعرفها لا تشعر بها فقط». ورغم شعورى بالاحراج وسط الجمع الذى كان يحيط بنا ، إلا أنني أحسست حينها أن عيناكى التي كانت تلاحقنى من بدايات السهرة أبت ألا تدع الفرصة تمضى دون أن تحتوينى فى يوم بكامله، هكذا كان اعترافك لى فيما بعد.

لم انعم فى تلك الليلة بنوم هادئ وظللت حتي الصباح انتظر قدومك، وتداعت الاسئلة المحيرة، من تكون؟ ولماذا اقتحمتنى بتلك الصورة، واشرقت الشمس، وتخيلت أن يومى سيكون يوما عاديا، بصحبة فتاة عادية فى اجواء غير اعتيادية، وخابت كل ظنوني.. تجولنا بالصباح فى «رام الله» واشترينا معطفين أحمرين، وبعضا من الزهور، وقصدنا مكانا نائيا على مشارف مدينة «البيرة» نحتسى فيه القهوة ونفسح المجال لمشاعر صادفتها الزحمة وبراحة الوقت، ثم عرجنا إلى صديقتك «...» قدمنا لها الزهور وتناولنا الغداء معها، وبعد حديث طويل لم أتذكر منه شيئا حيث كنت مشغول بالنظر إليك، وأنتي كذلك ظللت تتابعى انفاسى المسافرة إليك على غير العادة وبدون استحياء من صديقتك، انصرفنا إلى «بيت لحم» للاحتفال بليلة الميلاد هناك، لم نعبأ كثيرا بسوء حالة الجو، قطعنا الشوارع الجانبية، حتي استقلينا سيارة أجرة.. وعندما وصلنا؛ تجولنا فى الشوارع الخالية، تكلمنا.. ضحكنا..

بكينا..جرينا..غنينا.. ورقصنا كثيرا على أنغام السكون ودقات قلوبنا.. اختزلنا العمر كله فى تلك الساعات القليلة الشحيحة، لم تكن هناك عيون تراقبنا، أو أذان تسمعنا، أو أنفاس تلاحقنا، ورغم الزحام الشديد، لم يكن فى الشارع غيرنا، فقضينا ليلتنا، أرهقنا الكلام ولم يرهقنا، حتي انتصف الليل علينا وأسدل ستره وطمأنينته ولفنا بدفء مشاعرنا فارتشفنا الحب وذقنا حلاوته، وتواعدنا بوعود كثيرة ونسينا المكان والزمان.. ولم نتذكر شيئا من الدنيا فى تلك الليلة الباردة التي لم تهدأ فيها دقات قلوبنا، وظلت ذكراها تداعبنا كلما صفرت الريح فى النوافذ المغلقة.

(6)

لـم تبق ألوان أخـرى

عشـت حياتي محرومة من شـيء اتباهـى به، اتندر به وسـط أقراني وصديقاتـي.. أشـعر مـن خلاله أننى أملك شـيئا لا تملكـه الآخريات، حتـي ولـو كان يسـيرا وقليلا.. كنـت أرى فى عيون مـن حولى نظرات الشـفقة والمواسـاة التي كانت تعذبني.. خصوصا عندما كن يلقن علي حكايات عشـقهن السابحات الغارقات بها، تمنيت شيئا يغير من روتين حياتي ويجعل للأيـام أهمية ومعنى، لكنى حرمت حتي من ذلك، وفى مرات كثيرة كنت أقنع نفسى كذبا بأنه لا يضر إذا ادعيت كذبا بعضا ممن يملكه الآخرين، لكنى فشلت فى الكذب وفى الصدق.

كنـت أشـعر بأنني فى حاجة لقلـب يؤويني.. يضمنـى.. يحتويني.. عيـون تغدق على من الحنان والمـودة.. ولا تقمعنى عندما أرنو إليها.. كنـت فـى حاجـة إلي ظل عاشـق اتدثـر به مـن ليالـي الشـتاء الطويلة، ويكون نسـمتي الحالمة في قيظ الصيف الملتهـب.. ضنت علي الأيام بلحظـات اعتراف وتلاقى.. وكأن الشـرط الوحيد لبقائي في الحياة هو ألا أبـوح بقصـة حب أو أنعم بظلالها.. رغم أني لـم أكن انتوي التباهى

أو الاستعراض، تمنيت العشق ليكون لي عبادة سرية ألجأ إليها في لحظات انكساري فتشبعني وترضيني..

تمنيت أن تكون لي حكاية أحكيها، حكاية واحدة ليست بالمعجزة، بطولة تبقي معي عندما يشتد بي السن وتتوالي السنوات، بعض من الذكريات القليلة احتمي بها من ويلات الوحدة، ولم أكن أمني نفسي بحدث جلل لا يتوافر للآخريات، حتي جاء يومنا المشهود، وأحسست أن الزمان يعوضني الحرمان الذي عشته، ولم اتمني أكثر من ذلك، وقد كان كثيرا جدا.. ولأنني كنت اترجى من الدنيا اليسير والقليل، جاء طوفانك ليهدم كل حدودى وسدودى حتي كدت أغرق فى بحرك السحيق حيث لا آخر له ولا نهاية.. وملكت ما جعلني أميرة للعاشقات.

فعندما تأتي ليلة عيد الميلاد يقترب معها ميلادي وتكويني وبعثي مرة جديدة للحياة، فأحرص علي تكرار ذكرياتنا بدقة شديدة، انتظر الليل أن ينصرم وأنا أراقب الريح التي تصفر في عمري وفي احشائي، وعندما تحل شمس البشارة علي نافذة ذكرياتي أقصد رام الله واتجول في تلك الأماكن التي شهدت صباحنا البعيد، وأحرص علي أن أشتري معطفين آخرين، ولأن سنين غيابك طالت وكثرت فقد اشتريت كل الألوان ولم يبق ألوان أخري، ثم تقتحمني رائحة الزهور في دكان المرأة العجوز لأصحب معي بعضا من الياسمين ونذهب سويا إلي «البيرة» -أنا والزهور- لارتشف فنجان القهوة بمفردي، بينما يتابع النادل ورواد المقهي نظراتهم لهذه البائسة في رحلتها السنوية كل عيد ميلاد، وتتوالي الاحداث المكررة بعد ذلك.

الذكريات ليست كافية لمواجهة الحياة، فهي تدمي العيون وتوجع القلوب، انا في حاجة إليك، شحت الشفقة من قلبك، وكنت احسبك

ليـن كأعواد النعناع، وتوهمت فى جرأة أحسـد عليها بأن لى مكان ولو ضئيـلا فـى قلبـك.. إن اللحظات الجميلـة القليلة تترك آثـارا لا تمحى وتذكرنـا دائمـا بأن علينـا أن نتعلم من الحياة ومفاجأتهـا. فهل ارتكبت الخطيئـة الكبـرى عندمـا أبحـرت داخلـك دون أن أتدبر أمـرى، وهل كان لـى من محاذير وشـروط علـى اتباعها، أحتاج ليـوم آخر اقل بهجة وجمالا، فقد صفرت الريح في نوافذي حتي اقتلعتها ، فلا تحرمني من رؤيتك لآخر مرة.

(7)

المثقوبة

أهنئى وتمتعى وامرحى، وابلغى الشمس أن شئتي، واقبضى على القمر لو طالت إليه يداك، واعبثى بالنجوم والفلك، ونصبى نفسك ملكة على الأرض والسماء، فتلك هى أولى بوادر الهذيان، أصدرى اوامرك للرعية وللخدم وللعشاق الوهميين الواقفين فى خيلائك، اضربى الأرض فينقشع الغبار ليسكن فى عيون حسادك وهم البشر والحجر والشجر، وانطلقى حيث شاءت أقدامك فكل الفراغ مملكتك وكل الوجود سلطانك.

واضحكى من فِيه أكلت الميت والحى والبهتان والحوت، ونزعت سترة العراة من أوراق التوت، واثقبى الحاجب والأذن والسرة بالفضة والذهب واللآلئ الدرة.. فأنت الحرة بنت الحرة، هل شبعت أم ترغبين في مزيد من عظام الصغار وأحلام الكبار، الكل طوع الامر ينتظر القرار، فنحن يا عزيزتي لم نشته من الدنيا اكثر من رؤيتك فى لحظات الانهيار والاحتضار.

لن اروى قصتك للآخرين، ولن أردد على مسامعهم سوءاتك وشرورك، فأفعالك شاهدة عليك، وأكاذيبك تفضحها عيونك، فكيف للحكمة أن تنطق من شفاة أكلتها الغيرة وحللت الحرام وفضحت أسرار القبيلة، اجمعى ما شئتي من عطايا وهدايا وسبايا، وارحلى بغير رجعة، لن يشبعك شيء ولن ترتوى أبداً، فالأرض البور لا تفلح بها صرخات الصبية الأجيرة.

تكشف وجهك القبيح يا بائسة، فلن تفلح عمليات التجميل والترقيع، ابحرى بعيدا بسفينتك وخدامك، وازدانى بالياقوت والمرجان والوحدة، انتهى بيننا وصال الود والرحمة، وابتاعى من الصين غشاءات بكارة فأنت يا من جاوزت الأربعين مازلت صبية عذراء تنتظر البشارة.

القى على التلاميذ دروسك المملة بانك الأميرة الجميلة، التي علمت فينوس الحكمة، وسابقت الريح وأغدقت على البائسين اليائسين بالستر والنعمة، وسنقسم نحن للتاريخ بأن قيس وروميو وشهريار ماتوا بالنقمة عندما حاولوا خطب ودك السامى وجاءهم الرفض بالصدمة.

أنت العظيمة ونحن الرعاع السفلة، وأنتِ الرحيمة الكريمة ونحن الغزاة القتلة، وأكثر من ذلك كثير، نحن من يسرق لبن الاطفال، وستر الهائئين، وشوار الصبايا، وصلاة المؤمنين، ونحن من يتسلل بالليل ليوقظ الحالمين، وينقض على تسابيح الضارعين، وإذا ما انكشف أمرنا وافتضح سرنا، جاء عفوك ينتشلنا من الظلمة الى النور، فأنت أولى بالتسبيح والتكبير والتعظيم وشهادات الزور.

انت الصبا والجمال والجاه والمال والانهار والجبال، والوديان والتلال وكل شيء وأى شيء، العز والوفرة.. الحلوة النضرة.. الزهرة والخضرة، الشقراء والسمرة، البهجة والفرحة، ونبصم على ذلك بالعشرة والعشرين والختمة، فأمنحينا أغلي أمانينا واتركينا، ولا تقص علينا بطولاتك، فكل الاشياء محتملة إلا حكاياتك الضحلة، فنحن اذا كنا نبدى رضوخنا وركوعنا خشية سطوتك، فأن كلماتك التي تشبه روث الإبل لا تنسجم مع كل ما يحيط بك من نعم، فأصمتي ولا تنطقى بتلك الأشياء حتي لا تثير فينا رغبة التقيؤ..

(8)

الأخرق

هالني كم الغل الذي سكن قلبك والقيته في كلمات مسمومة مبحوحة غير مترابطة في كثير من المواضع، وتعجبت كيف أحتملت كل هذا الحقد دون أن يطبق علي أنفاسك ويزهق روحك، واشهد لك أن قوة احتمالك تفوق ما كنت أتوقعه، شغلت نفسك بانتقاء الفاظ بذيئة ووقحة لتبدو وكأنك خارج اطارها، لكن نزولك لهذا المستنقع واستخدامك لها كشف عن براعتك وارتباطك الوثيق بمفرادتها وحروفها، فأنت منها، وهي منك.

كان عليك أن تسرد وقائع وأحداث ومواقف تبرر بها كل هذا الهجوم الضاري والعنيف، اما الولولة والنحيب فهي أمور أبعد ما تكون عن رجل يصف نفسه في تبجح وغرور بالمثالية، فأين المثالية في كل ما ذهبت إليه من افتراءات وتهم باطلة؟ بدأت باستعراض رخيص ومتداول وخلعت عليّ صفات وقدرات خارقة، ونصبتني ملكة تؤمر فتطاع، فكيف لملكة مثلي أن يخرج عن سلطانها صعلوكا مثلك؟ فمن أين جاءتك الجرأة وقد عهدت فيك الجبن والسلبية.

انت لا تملك الشجاعة لتروي شيئا من قصتنا، فأنت أجبن وأضعف من أن تسرد نواقصك الكثيرة التي يمنعني حيائي من سردها، اتحداك أن تحكي كيف كنت تأكل وتشرب وتلبس، ومن أين كانت تأتيك هذه الأموال، وكم مرة وقفت علي بابي منتظرا بالأيام والساعات ماددا يديك طلبا للمساعدة، وعندما كنت أحضر كنت تتلو علي آيات الاحترام والتقدير والتبجيل، وتقسم بأن القبلة التي تضعها علي يدي تمدك بالحياة.

انت رجل أخرق غير مسئول عن تصرفاته، تتحكم فيه نوازعه السفلي، يحلم بالطيران والتحليق وهو قعيد، تملك منه الغيظ والأنانية والطموح الذي ذهب بعقله، عندما تغضب تتصرف كالاطفال المهملين، تثور وتحطم كل ما تطوله يديك بغرض لفت الأنظار إليه، انما علي أرض الواقع فأن ممارساتك بائسة وفقيرة ومخيبة للامال، كان عليك أن تخجل قليلا من نفسك وأن تحترم حكايتنا، فلم يبق في تاريخك كله سواها، واسمح لي أن أقول لك أن ارتباطك بي ازاح عنك ويلات التسكع والتشرد والموت جوعا، وأحذر أن تأتي لي باكيا متوسلا، طالبا العفو والسماح، أو أن توسط بيننا الآخرين التي سوف تردد علي مسامعهم شروري وسوءاتي.. انت بائس جدا وتحتاج إلي العطف والاشفاق، نعم لست عذراء ولكنك خارج قبيلة الفحولة، فلما تقحم كلمات تكشف عن عجزك وقلة حيلتك.

يبدو أنك نسيت من أنا، ومن أنت، رغم كلماتك التي وضحت كثير من الأمور، لكن غبائك افقدك القدرة علي التمييز.. نعم أنا الملكة وأنت واحد من رعاياي المارقين الناكرين للجميل والمعروف، مجرد فرد من ملايين، فهل تريد أن تقاسمني الملك وأن تشاركني في المال

والجـاه والأنهـار والوديان والتلال؟! للأسـف لسـت مؤهـلا لامتلاك كوخ، انت حتي لا تسـتطيع أن توفر قوت يومك، أنا الجمال فكيف لي أن اعاشـر القبح في أبشـع صـوره وأحقرها، وأنا الصبـا، فقل بربك من أنت، وماذا قدمت يداك ليس للآخرين وأنما لنفسك، احصي خصائلك ولا تبخـس حقـك، قل للنـاس عن انجازاتـك ونجاحاتـك. لقد بدأت الحرب وأنت لا تملك من المقاومة شـيئا سـوي الدموع والتوسـلات، فكن رجلا وتحمل لعناتي.

(9)

يوبيل الفراولة

عيد ميلاد سعيد.. تمر هذه الأيام الذكرى الخمسينية لميلادك (يوبيل جديد).. ومازلت بنت العشرين، أو هكذا تتوهمين..مضت السنين سريعة.. لكنك مازلت كما أنت تمضغين الهم بين فكيك.. وتلوكين السنين فى يسر.. وتطلقين الضحكات يمينا ويسارا دون عناء.. لم تهزمك الأوجاع، ولم يتملك منك اليأس أو الخضوع، عجزت الأيام من أن تسطر خطوط الزمن على وجهك المتصابي.. لم تمل الكذب بعد، فهو زادك وهواؤك.. مازال قوامك الممشوق المشدود ينطلق فى الريح، ويجتاز الحدود فى خيلاء وعناد.. لم يرهقك الطريق، ولم تخشى لحظات النهاية.. فمازلت تقدمين أسوأ العروض الاستعراضية..

توقف التاريخ والزمن عند عمرك البلاستيكى المطاط؟ فهل مازلت العشرون شمعة يتوسطون كعكة الميلاد، مثلما كنت تفعلين من ثلاثون عاما؟.. وهل مدعويك هم أنفسهم الذين حضروا منذ زمنا عتيق.. أم تغيروا باختلاف الزمن؟.. وهل تحرصين على قبول الهدايا الثمينة الغالية؟.. أتذكر أن مصير زهورى التي كنت أهديها لك كان سلة

القمامة، فهى لا تساوى سوى بضع قروش، وهى لا تغرى للاحتفاظ بها.. فالهدايا عندك تعامل على قدر قيمتها، حتي الأحاسيس والمشاعر دائما كان لها ثمن.. كم من الوجوه تحملين؟..ألم تسأمى بعد من تأدية هذه الأدوار البائسة التي لم تصلح مع تقدم السن؟ هل لديك الكثير؟ ولماذا يبدأ حديثك دائما بعلامات الاستفهام؟ وينتهى بعلامات التعجب والسخرية!

استعيد الماضى وأتذكر كلماتك الأولي.. هل تذكرين أول لقاء؟ سوف أذكرك، أعلم أن هواياتك التي تحرصين عليها هى النسيان، تذكرين عندما أتيت مهرولة لاهثة، شاعثة الشعر، حافية القدمين، تفرضين على نفسك، وتتوسلين ألا أتركك حتي لا تلجأى للانتحار، وأنك ترين الدنيا من خلالى، والحياة دونى تصبح مستحيلة و...و... هل تذكرين هذه الكلمات؟ هل كان يجب أن أسجل لك كل لفتاتك وهمساتك وكلماتك؟ ليس لدى عقدة نقص.. ولا أعانى من بعض الاضطرابات النفسية المزمنة، فلم أعرف العقاقير المهدئة إلا عندما عرفتك، واقتربت منك، وعاشرتك.. ربما تكون عقدة النقص الوحيدة فى حياتي هى أنت.. وقد حاولت مرارا التخلص منها، لولا حرصى ألا تفعلى شيئا مجنونا، وكانت خشيتي من هذه الأفعال هى التي تردنى لهذا العبث من جديد..

مازلت أمانيك محصورة فى كلمات الأعجاب المزيفة وعبارات الإطراء الغبية، ونظرات الموتورين التي تجعلك تزهى بنفسك، فأنت مازلت رغم كل هذه السنين تتأرجحين بين الكلمات المعسولة الخادعة ووهم الحكايات الملفقة، بعدما ضاع مذاق الفراولة الذي كان يتساقط

من شفتيك، واعترف أنني تجرعته مرارا واستطبت مذاقه السحري الذي كان يعيد لي صباي.

مازلت مرآتك ناصعة لامعة تضيف بريقا كاذبا على جمالك المتصابي.. وحتي لا يأتي وقت تعوى فيه كالذئاب فيخشى الناس الاقتراب منك أو الالتفاف تجاهك.. أسألك السكينة.. أسألك التأمل.. فالحياة أنقى وأرقى من أن نعيش فيها مغيبين عن واقعنا.. فأهدأى فى عامك الخمسين، ربما يكون العام الأخير من حياة امرأة بنصف قلب ونصف عقل.. ضحكت علي الدنيا حتي الثمالة وأخذت منها كل ما ارادته.

(10)

أيس كريم

هبت كلماتك وحطت في يدي، وأشكر لك مشاركتك الاحتفال بيوبيلي الفضي.. ولو أن كلمة (يوبيل) تناسب محطة وقود أو شركة تأمين.. لا تشغل بالك فالعناوين لا تعبر عن المضمون.. رغم مرور كل هذه السنوات مازلت تستخدم نفس الورق الذي كنت تخط عليه رسائلك، يبدو أن دفترك المعطل مملوء بالصفحات البيضاء، فهل اعتزلت الكتابة؟ أم اعتزلت العشق؟ مجرد ملاحظة عابرة ليس الغرض منها التهكم أو السخرية، فأنت في حاجة إلي رثاء وشفقة.

فتح خطابك حنين الذكريات الحلوة، هل تذكر «شبرا» وشارع الترعة، عندما كنا نحفظ الشوارع باسماء المحلات وبتفاصيلها الدقيقة، هناك من عاصروا قصة عشقنا غيبهم الموت، وآخرين أكلت السنين ذاكرتهم، وبعض قليل حي يرزق يحفظ كل تفاصيلها جيدا، عندما كنا نطلق الاحلام من أفواهنا، نقيم البيت ونربي الأولاد ونهرب الي البحر في حالات الاكتئاب، ونلقي بالقبلات الخفية، ونتلمس الايدي الملتهبة، كل ذلك كان يحدث ونحن نتصعلك علي فاترينات الدكاكين التي لم تشتري لي منها شيئا، نسيت أن تروي تفاصيل تلك الأيام،

ولماذا كنا نذهب تحديدا لميدان فيكتوريا، لا أظن أن ذاكرتك تعبت لهذا الحد ولكنك تحاشيت حتي التلميح، فلن أفصح حتي لا أسبب لك حرجا، وأتمني أن تكون تلك الاشياء التي اصطحبك لعلاجها هناك تعمل علي خير، وتظهر صورتك في صورة افضل.

تخيلت أنني سأتلقي معايدة رقيقة لطيفة بمناسبة عيد ميلادي، فقد عاهدت فيك اللياقة والذوق، وكانت رقتك تسبق تصرفاتك، فكيف تلوثت ايامك وطالها الزيف والكذب لهذا الحد؟ فوجئت بكلمات التهكم والسخرية من السطور الأولي، وأنت الذي جرعتني أول كلمات العشق، فما الذي يضرك إذا وضعت شمعة أو الف في كعكة ميلادي، ماذا فعلت بك السنين؟

نعم مازلت أضحك والهو وأمرح رغم معوقات الروماتويد والضغط، ولم يهزمني المرض أو تطول مني الكآبة والعجز.. أحاول أن ألون ايامي بما تبقي من عزيمة، وأن اجعل من وجهي الذي سطرت عليه خطوط الزمن انكساراتها ألا يفارقه الأمل.. لازال لدي رغبة أن أعيش ايامي المتبقية في سعادة دون أن أجرح أحد أو أسبب الضيق لمن حولي.. ولأن سنين عمري مطاطية قابلة للاختلاف.. فأن اصدقائي من كل الأعمار يحبونني وأحبهم، ويقدمون لي الهدايا التي تناسبني.. لا احمل إلا وجها واحدا جميلا بشوشا يختصر من عمري عشرون أو ثلاثون عاما، أم جسدي كما قلت ممشوق مشدود ينطلق في الريح ويجتاز كل الحدود برشاقة لاشك انك تفتقدها.. مهرولة.. شاعثة.. حافية، هذا وصفك لي.. فهل يعقل أن تنطبق هذه الصفات علي «امرأة تلوك السنين في يسر وتمضغ الهم بين فكيها، وتطلق الضحكات دون عناء»، ثم تضيف «هل مازلت أمانيك محصورة في كلمات الاعجاب»

أدركـت الآن أنك ليس لديك عقـدة نقص، ولا تعاني من الاضطرابات النفسـية، انـت يا عزيـزي خارج اطار الحيـاة، ربما لـم تجـد في عزلتك القسـرية شـيئا يحرك السـكون من حولك غير أن تصب علـيّ مركبات النقـص التـي اسـتفلحت داخلـك.. خانـك الذكاء الـذي لـم تتمتع به يوما، واسـتطعت بغباءك أن تشـوه ايام جميلة مثلت الصفحات البيضاء في كتابك الأسـود، عشـمت نفسـي بكلمات حلوة، ولم أحسبها باردة وماسـخة مثـل الايس كريـم الذي كنـت تحـرص أن تشـتريه رخيصا، وترغمني علي تناوله.

(11)

صندوق بريد

يتملكنى شـعور بالسعادة لا أسـتطيع وصفه حينما أرى فى صندوق بريدى رسـالة تحمل اسـمك.. يرقص قلبى فرحـا، ينتفض من مكانه.. يصـول ويجـول.. ويذهب بعيدا بعيـدا حيث بلاد الفراشـات والزهور الجميلـة يحتضنها يتنفـس عبيرها.. ويتلون بألوانها الجميلة.. أسـتعيد معها طفولتي ونقاء براءتها.. فرسـالة منك فـى صندوقى البريدى تعنى بـأن الحيـاة مازالت مسـتمرة ولم ينقضـى أجلها بعد، وأننـى قادر على التعايش مع الكائنات الأخري.

عندما أرى رسـالة منك فى صندوق بريدى، تبدأ حالة انعدام الوزن وفقـدان القـدرة على التحكـم بالكلام والسـمع والرؤيـة.. افقد جميع حواسى وكأنى خدرت وسلبت منى إرادتي.. وتعزف أنغام قلبى أعذب الألحان. أنسلخ من واقعى وابحر حيث لا شطآن ولا مرسى ولا شراع، أذوب فـى المياه المتدفقة، اصعد موجاتها، واهبط إلى المحيط، احاور الاعشـاب السـاكنة بالقاع وأشاكسها واغتسـل من كل ويلات الاحباط حتي أصير وكأن عهدى بالحياة يبدأ لتوه.

فكلماتك تعيد لشراييني الدماء وتفتح أمامها سبل الجريان والتدفق في كل الاتجاهات دون عائق أو توقف، وتنظم دقات قلبي الفوضوية التائهة السريعة والبطيئة وتجعلها منضبطة.. وترتب لغتي الضائعة في عينيك وتلهمني بقصائد العشق.. فيتساقط مني الشعر والحكمة والأقوال المأثورة، عندما أرى رسالة منك في صندوق بريدي تشرق شمسي وتلتهب ويتفضض قمري ويضيء.. وتتلألأ النجوم في سمائي الصافية، وتتلاقى الفصول الأربعة في وقت واحد في حالة اعجازية غير متكررة، وغير منطقية.

تأتي كلماتك الترياقة لتداوي جروح الزمن وانكساراته.. وتزيح هموم الدنيا من فوق كاهلي.. وتفتت جبال الملح الجاثمة على صدري، وتفرش تحت أقدامي الطرق الممهدة اليسيرة..تتسلل برفق وانسيابية إلى أعماقي، أن شئتي الصدق فهي تعيد تركيبي مرة أخرى حتي أصلح للتعامل الآدمي..

الآن آن أوان رحيلي في رحلة طويلة وشاقة لعوالم أخرى ربما أجد فيها ما يمنحني القدرة على البقاء حيا.. فلم أعد احتمل كل هذا الحب.. الآن أعلن على الملأ أنني مت عشقا وسحرا وهياما.. اغتالت نظراتك مقلتي واستباحت قلبي.. وعرضت أحاسيسي في فاترينات المتيمين.. الآن أعلن دون خجل أن كلماتك أودت بحياتي ومثلت بجثتي أمام العابرين، ولم تأخذ بي أي شفقة، اسحقتني وذوبتني دون رحمة، وغالت في العطاء وافرطت في رومانسيتها ورقتها.. اعترف أن كل رهاناتي على المقاومة والمواجهة انهارت بعدما تجاوزت الحد المسموح لكل المحاولات المقررة، وأن الشجن المسكون داخلي

يحرضنى على الرحيل والهروب من مصيدة حبك، فلم أعد احتمل كل هذا الحب.

أدمنتك..واستسلمت لهذا الموت اللذيذ.. يمكنك الآن التوقف عن إرسال خطابات إذا اردتي لى الحياة.. فاستمرارك يعنى نهايتي وحتفى، ما أجمل نهاياتي وما أروعها.. وما يحزننى أننى لن أرى رسائل لك فى صندوق بريدي.

(12)

العشق سرًّا

أيها الرائع القابع في القصر العالي البعيد فوق تل الأحلام.. أى كلمات التي تستطيع أن تخترق هذا القلب الجهنمى المتفرد وتستبيحه، أى العبارات التي تستطيع أن ترسم جزءا من الحقيقة، ومن تلك التي يمكنها أن تملك قلب بحجم قلبك الرقيق، اري أنك تبالغ كثيرا في وصف كلماتي التي يجانبها التوفيق في وصفك، فأنا لا يمكنني حتي التحديق إليك بكامل إرادتي.. من أى البلاد أتيت يا ملجأ الايام وملاذها، وأين كان هذا الحب المخزون داخلك.. ومن الذى قيده وحجمه كل هذه السنوات.. من أى العصور أتيت؟ يا رجل كل العصور.. لم تعد المياه الراكدة فى النهر تسترضى الخمول، أو السكون.. وقعت الواقعة، وتبدلت الدنيا، وخرج من القمقم المارد ليزلزلني.. ويفتت بي.. يعصرنى.. فتتساقط بقايای لتصرخ بأنك منتهى طموحي..

الكتابة إليك ليست منحة، بل هي تكليف اجباري من قلبي وعقلي حتي يواصلان النبض والتفكير، ودونهما يتوقف كل شيء، وتصبح الحياة فراغ يعشش فيه الملل، معك تكتمل الاشياء الناقصة، فأنت

نقاط حروفي، وصندوق بريدك هو سفينة أحلامي التي اري من خلالها الدنيا.. أحبك، لأن حبك يمنحني الوجود ويرسم صباح ايامي علي قرص الشمس وعلي ضوء القمر، فالكتابة تعني أنني اتنفس وأتعايش، وعندما تكتشف أن صندوقك خاليا من الرسائل، فمعني ذلك أنني ذهبت إلي العالم الآخر، فهل تريد خلاصي.

الكتابة تجعلني أسرق اللحظات الاستثنائية، وأطلق من خلالها العبارات الملهمة التي لم أستطع ترديدها أمام الآخرين دون تعقب أو ملاحقة، فأنا أخشى من تلصصهم علي عيني الزائغة الباحثة عنك طوال الوقت.. يتملكنى الخوف عندما يخيل لى أن أحد الجالسين سوف ينقض على ليشطرنى نصفين ويجد صورتك العالقة داخلى، أخشى أن تفضحنى عيناى.. التزم الصمت وأحاول السكون.. لكن الصمت يفضحنى، فعندما تبادلني النظر.. أشعر بأن السماء ستسقط أمطارها، وستعلن الطبيعة عن ثورتها من هذا الحب الذى زلزل أرضها، وأغضب أمواج بحرها، وجعل الطيور فى حالة فوضى، وأسقط كل كتب الشعر فى مستنقعات الحيرة.

هل تكفى كلمة أحبك؟ هل تستطيع أن تصف حالتي بصورة دقيقة وحقيقية.. أرى أنها لن تكفي.. ولكنى أعدك أن أكتب فيك كل كلمات الحب والعشق، أعدك بأن أتلو عليك كلمات لم تقلها عاشقة من قبل، ولم يسمع بها ملوك الأساطير.. أعدك أن اسخر لك اللغة والنحو والصرف، حتي تتباهي بأنك أول عاشق فى التاريخ تطوع له حروف الهجاء.. لكن اعطني وعدا أن يظل حبك بهذا العنفوان وهذا التدفق، حتي استطع أن أداوم على العطاء، أو أداوم على الحياة.. لن يعفيك

الترحال من حبي أينما كنت، وسأرسل في بريدك كل ساعة رسالة تخبرك بأنني اعيش فقط من أجلك، أن بقاءك يعني بقاء كل العاشقين.

أصبحت رغبتي في الاستمرار بالكتابة إليك خارج نطاق التحكم والسيطرة.. ظهر شيطان الحب ولا أعرف كيف التخلص منه، أحكم قبضته وصرت أسيرة له، يبدو الواقع أبدع وأجمل، أنه التحليق دون أجنحة.. والسباحة دون عناء.. لكني أدمنت عشقك سرا، فهذا لا يجعل أحد يشاركني حبك.

(13)

أداء رخيص

فى الحياة البشر يموتون، ولا يبقى سوى حكاياتهم، كل شيء يكتب باليوم والساعة بتفاصيله الحلوة والمرة، لا شيء يضيع فى الزحام، هكذا تقول الاسطورة القديمة، ليس هناك خاسر طوال الوقت، ولا رابح على الدوام، حتي تلك المسلمات الثابتة فى أذهان العامة تخضع لتقييم أخير قد ينسفها ويعيد تغيير ملامحها بالكامل، فهناك كثيرون من الرابحون خاسرين، وهناك ايضا خاسرون رابحين لو دققنا النظر، وهناك أيضا مغانم معنوية لا يبصرها الماديون، ولا يلتفت إليها المتسرعين في اصدار أحكامها دون تمعن وتؤدة.

تخيلت فى ذروة عشقى المحموم، أن صباحى لم يأت دونك، وأن إشراقة النهار تتكحل من عينيك بعدما تظل منتظرة على شرفتك حتي تأخذ اذن الخروج، وأن التكوين المحيط بى مصنوع من أنفاسك وهمساتك.. تخيلت أشياء كثيرة كشفت الأيام عن عدم صحتها ومعقوليتها، فالحياة تسير ولا يوقفها شيئا، لكن سذاجتي المفرطة وقصر نظرى اوهما لي عكس ذلك.. لست غاضبا لحد الحنق، ولا

مشفقا لحد البلاهة.. بل هى خيبة الأمل وفقدان شهية الانتصار فى عصرك المهزوم.

عانيتي ما عانيته.. وتألمتي ما تألمته.. وتجرعتي الحرمان مثلي.. طال الليل عليك.. انتظرتي الساعات على شرفة أيامك.. كل ذلك حدث لنا، فأنا شريك بالنصف في الشهد وفي السهد.. لكننا لسنا متساوين بأى حال من الأحوال.. فضربة البدء الغبية كانت لك.. وهذا يفقدك كبرياء الخاسرين ويحرمك من أى شرف المحاولة الفاشلة.. فلن يغسل الماء يديك ويمحى عنها قطرات الدماء العالقة بها.. لا يكفى الندم لمحو الخطيئة المتعمدة..

كنا فى حاجة إلى جمل بسيطة، وعبارات رقيقة ننهى به الفصل الأخير من الحكاية الفاشلة، لكن انزلاقك أفقدنا التركيز فى إيجاد مبررات زائفة وملفقة تجعلنا نرضى عن أنفسنا حتي على سبيل حفظ ماء الوجه أمام المحيطين والذين شهدوا حكاياتنا من بداياتها، وخصوصا اننا لم نترك فرصة ألا وتشدقنا بطهر غايتنا ونقاء علاقتنا الخرافية غير المتكررة، فجاء الاداء الاخير رخيصا ومتدنيا ليكشف كذبك وخداعك ويفضحنا أمام الجميع، فنتلقى على ذلك السخرية والتشفى وكلمات التهكم التي فاقت كل الحدود. أنصب كل تفكيرك حول الخسائر والمكاسب، واعتقدتي ما تملكينه يوفر لك بعض المكاسب، فما كانت تحوى يديك سوى ريح من بعض أنفاسي.. أما أنا فكنت أملك كل حروف الرثاء لوجهك الزائف والمرتبك..

خرجت أنا بتجربة فاشلة فقط، يمكن تعويضها فى مرات لاحقة، اما أنتي فقد شوهت ملامحك، وفقدتي كل الفرص الممكنة ليس لتجربة أخرى وأنما للعيش مع أى كائن كان، فأجمعى حقائبك وانطلقى

فـى عرض الصحـراء حيث الفـراغ الكبير الذى سـيحميك من نظرات الآخرين.

أتي الصبـاح الجميل دونـك.. وتفتحت الزهور دونك..وأشـرقت شمسـى دونك.. وانتشـى قلبى دونك.. يـا أكذوبة خيالـى.. الآن فقط اسـتطيع أن أجزم بأن الحكاية غرقت فى قاع المحيط.. ألقيتها بنفسـى، الآن فقـط أعلـن أنـك غـدوت ذكـري.. مجـرد ذكـرى عابرة فـى أيام شـاردة.. وأسـفى على ما سـوف تلاقيه أنـت، فمازلـت احتفظ بمصل الوقاية وبأسرار النسيان.

(14)

احتضار الحب

اعترف بأن الأداء كان رخيصا، ربما لأن الحكاية من بدايتها كانت مستهلكة، بعدما فقدنا قدرتنا علي العطاء والتضحية وانكار الذات، وأصبحنا نتصيد الاخطاء لبعضنا البعض، وفي كثير من الأحيان كنا نختلق لأنفسنا اعذار وهمية لنبرر أفعالنا السخيفة تجاه بعضنا البعض، لن الجأ للدفاع عن نفسي بالصاق التهم الباطلة عليك كما فعلت، واعترف أن حالة الاحتضار التي نعيشها الآن نحن الاثنان شريكان اصيلان بها، أنت لأنك رجلا تقليديا يعشق النظام والروتين، ويفترض في نفسه قدرات وهمية، وأنا لأنني فشلت في مسايرة عاداتك المملة والمعايشة معها، وساعدتك كثيرا عندما جعلتك تصدق بأنك صاحب كرامات وذو كاريزما وشخصية آسرتين، رغم ان كل من جلس معك كان يشعر بالغثيان بعد مرور خمس دقائق علي الأكثر، وينتابه دوار شديد، وهذا يسجل لي رقما جديدا في الاحتمال.

أن أول طلقة تميت الحب هي الانانية، وللأسف كانت مساحتها كبيرة جدا في علاقتنا، اجتهدنا سويا في اختناقه فجاء احتضاره نتيجة طبيعية لتصلب شرايينه، ومنعنا بارادتنا وغبائنا عنه استنشاق هواء

صحي يمده بالاستمرار ويسمح له بالتجويد والتطوير، وهذا ما جعلنا نلفظ أنفاسنا الأخيرة في هذه الحكاية المستهلكة والمتوترة.. كثير من الحكايات تنتهي، وكثير من الحكايات تبدأ، فتلك ليست نهاية العالم، انفصالنا كان وشيكا لا عيب في ذلك، لكن العيب أن نستخدم الفاظ تؤذي مشاعرنا وترخص من أنفسنا، لابد أن نعترف بالواقع ليس في الامكان ابدع مما كان، وصلنا إلي مفترق طرق، وعلينا أن نعترج دروب مختلفة تواكب طموحاتنا التي كبتناها كل هذه السنوات، كما أن استمراري معك كل هذه الفترة يجعلني ادخل بسهولة كل الموسوعات العالمية واحتل بها مركز مرموقا.

المقدمات الباهتة تؤدى إلى نتائج فاشلة.. لم يكن بمقدورنا أن نخدع أنفسنا طوال الوقت.. أحيانا نضطر للكذب.. لكن احتراف الكذب فضيلة لم نتعلمها بعد.. حاولت أن أصحح أخطائى بطرق بدائية فلجأت إليك.. فتفاقمت أعبائى وطفح الكيل بها، ولكنك أيضا لم تساعدني في اجتيازها، وقررت أنها شأن خاص بي عليّ معالجته دون أن أسبب لك صداع، ورغم أن الأمر كان يحتاج إلي بتر كلي لجأت إلي المسكنات وعمليات التخدير المؤقتة قليلة المفعول.. ولم أكن أعلم أن الداء استشرى فى الجسد المنهك، وبات استئصاله مستحيلا.. وكان الهروب إليك هو الحبل الذى طوقت به عنقى وعجل بنهاياتي السريعة.

ليس ذنبك.. وليس أيضا ذنبي.. ربما تكون الصدفة التي جعلتنا نلجأ فى محاولة يائسة لمداواة الجروح بالتجاهل؛ مجرد مخدر يخفى وراءه مضاعفات أخري.. ولم نكن ندرى أن الأمور سوف تتفاقم لهذا الحد.. كنا نحتاج إلي فترة نقاهة، فسحة من الوقت نلتقط فيها الأنفاس،

ونعيد حساباتنا جيدا بعيدا عن أى مؤثرات ربما كانت أجدي من الصراخ الطفولي الذي مارسناه، جانبك التوفيق في استخدام كثير من الألفاظ الكبيرة التي لا تناسب الأحداث، والمبالغة في وصف نفسك بكل هذه المحسنات البديعية، فلو كنت تملك نصفها ما وصلنا إلي ما نحن فيه الآن! هنيئا لك بالصباح الجميل وبالزهور اليانعة وبالشمس الحارقة والقمر والنجوم، لعلها تجعل قلبك ينتشي اكثر واكثر، واحمد الله أنني غدوت ذكرى.

(15)

هنـــادي

هنـادي.. الليلـة جميلة جدا، بلل الماء أرصفة الشـوارع الأسـفلتية ففضضـه.. وأمطرت السـماء أمنياتا وأحلاما للمعذبيـن والمحرومين، طافت البشـرى على الناس تدق أبوابهـم حاملة لهم الزغاريد والأخبار السـارة.. تقضـى حاجـة السـائل.. وتلبى نـداء المحتاجين.. وتمسـح الدمعـة مـن عيون البائسـين.. الليلة جميلـة صافية كصفـاء قلبك الذى علمنـى أن الحب تواصل إنسـانى ورغبـة فى الرضـا.. ومنحنى الحلم كلـه.. ولـم يقطر على بالفتـات.. وكان كريمـا لحد السـخاء.. فتوالت الكلمـات التـي كانت كحبات السـكر، أزالت من جوفـي طعم المرارة والحرمان. وبدلت ملامح الدنيا من الأبيض والأسود إلي ألوان طبيعية.

ضوء القمر الهادئ الحالم السابح يغمر السماء بالطمأنينة وينشر فى رحابة أصداء الحكايات القديمة.. ينسج بين النجوم أشعته التي تتلاقى وتتشـابك وتختلـط فتبـرز من بيـن ثناياهـا وخطوطها ملامـح وجهك الملائكي.. تحرك مشـاعرى المشـلولة، وتدب فيهـا الحركة والحيوية من جديد.. وتبعث النضارة والبشاشـة والتأمل بعدما اكتسـت بالكسل

واليأس من أي جديد يطرأ عليها، فها هو البدن المعتل ينتفض ويرقص علي أنغام عشقك رقصة الخلود.

ينسلخ الليل من عينيك ليرتمى فى مقلتي، يسكرنى.. يهزمنى.. يسحقني.. أتوه فى سراديب حروفك.. وتتملكنى التأتأة والسأسأة والفأفأة.. أفقد وعيى.. لكنى لا أفقد عشقي.. ينقلب القارب بى فى عمق المحيط وتتوالي الكوارث تباعا، وعندما تواتينى ساعتي في الرحيل المبكر تتبدى لى عروس البحر لتعيد الأمل المستحيل.. ينشق البحر وتتلاشي المياه وتفسح سهلا اعجازيا، وتصطحبنى إلى جزيرتها البعيدة.. تطيبني.. تدملنى وتعصرنى، فنحتسى سويا حلاوة الدنيا.. تمنحني فرص جديدة للتجربة.. بعدما افقد شجاعتي وتنتاب الحيرة نفسي. من بين ثنايا الغروب تشرق شمسك، واعجز عن تفسير الاسئلة الكثيرة التي لا أجد لها اجابات.

تبدو الأشياء فى مواكب جماعية.. أرى الزهور تحتضن براعمها وتطوق الحياة بالياسمين والبنفسج.. لن أدع الشجاعة فقد حطمتي كل نواقيسى الناقصة وتماثيلى الهشة وتكشفت الحقيقة على ترانيم غنائك..

من أنا؟

من أنت؟.. ولماذا اكتمل نصف الدائرة فى حدقة عينيك.. واتسعت الدنيا؟

ومثلما كان مجيئك بغير ميعاد ودون ترتيبات استقبال، كان غيابك أيضا مفاجئا ومربكا لكل الحسابات التي اجتهدت في التوصل إليها، واستقر في يقيني أن مهمتك انتهت، وانني لن أراك مرة ثانية، وعندما أصل لقناعة بأنك طيف هلامي اخترعه خيال في لحظات انهياري، تظهرين مرة أخري لتزداد حالات الارباك والحيرة.

الليلة جميلة.. لكني لم أعد استمتع بها دونك...

(16)

ليلة حزينة

لم تعد الليلة أشبه بالبارحة.. فالليلة حزينة جدا، وساكنة، يطوف الصمت فى أرجائها ولا يسمع للضجيج صوت، سوى تلك الأنفاس اللاهثة وراء الترقب والرغبة فى إحداث شيء يبدل تلك الأجواء المحبطة، حتي النجوم خفتت ضياءها، وراحت تموج فى الفضاء الفسيح المظلم تستدر عطف المحبين والعاشقين.. دخان يتكاثف هنا وهناك يحجب الرؤية عن قمر آثر الانزواء من جرح كبريائه ما بين نظرة اللائمين وحسرة المحبين.

لا أعرف سببا لهذا الشعور الغريب الذى تملكنى وأحسسنى بالوحدة.. كنت أحسب نفسى قد تخلصت من كل هواجسى التي كانت تصحبنى في ليالي السهد.. انتظرتك ساعات قليلة لكنها مرت بصعوبة شديدة.. عانيت فيها وزادت أشجاني.. حتي صرت بهذه الحالة المتدنية.. ومما زاد من غضبى أننى ألححت عليك أن تأتي لتنشلني مما أنا فيه.. ربما كنت أشعر ببدايات حالة كئيبة تقترب مني.. وتصورت أن طلبى سوف يلبي.. لكن مرت الساعات البطيئة لتزيد حالتي كآبة، أحيانا أشعر بأنني مازلت طفلة تشتاق لرؤية قصر رملي

بنيتـه على احدى الشـواطئ فى اجـازة صيفية.... لـدى رغبة فى تأنيب نفسـى وتعنيفها فما كان على أن استسلم لهذا السقوط.. وأن أدع نفسى رهينـة لليلة يبتسـم فيها القمـر، وإذا ما غاب أو تأخـر تحولت إلي بقايا امرأة.

ليلتنـا شـاردة..ضائعة.. وتائهـة، تتسـع فيها المسـافات للشـكوى والنحيـب والبكاء.. لا مـكان للفارحين هنا، حيـث تضيق الأحلام فى صـدر الحالمين، ويصمت الكلام فى مواسـم العتاب، وتتحجر العيون فـى عيـد الدمـوع، وتبقى فـرص الرحمـة معدومة، ولحظـات العطف هلامية وغير محتملة، لم يبق سوى الحسرة.. الحسرة فقط والندم، هما الكلمتـان المسـموح بتداولها دون رقابة أو وصايـة، فيما عدا ذلك غير مسموح، حتي تلك النظرات التي يملؤها الشجن والانكسار مرفوضة، أنهـا باختصـار ليلة الحسـاب الأخيـر.. فلا مـكان لتقديم التعـازي، او اطـلاق عبارات المواسـاة، فالكلام لا يفيد في مواسـم الموت.. انتهى المشوار.. وأوصدت كل الأبواب والنوافذ، ولم يعد هناك ثقب لمرور أى بصيص من أمل.

تغمرنـي نوبـات من اليـأس لا أعـرف لها سـببا، وشـعور بالانهزام والانكسـار وقلـة الحيلـة، تبخـرت كل محـاولات البقاء، وترسـخت لدي قناعة بأننى منافسـة ينقصها الكثير من المران حتي تستعيد توازنها المفقـود.. وأشـهد بأننى كنـت أعيش وهما لم أفق منـه، الآن ارفع راية الاستسـلام..معترفة بهزيمتـي.. فهنـاك علامـات فاصلة ما بيـن الحياة والمـوت.. يكون للموت دائما الكلمـات الأخيرة التي لا يكتب بعدها شـيء.. ولأن العشـق كان جريمتي الكبـرى التي لم أسـتطع أخفاءها أو التنصل منها..

ليلتنا حزينة بلا شك.. وصباحنا بعيد جدا.. تسقط الخيوط الفضية فى قاع المحيط، ويعم السواد والعتمة كل الطرق والأزقة، وعندما يأتي المساء تكون الحكايات اوصدت آخر فصولها، وكتبت كلمات النهاية، فلا أمل من الانتظار أو الترقب، انتهى المشوار.. كنت أعلم أننا سنفترق.. ولم يكن يخطر ببالى أن تكون الطرق عكسية تتسع المسافات فيها بيننا وتصبح شاسعة وغير محتملة، بحيث لا يمكن التقاؤنا مرة أخري.. تمنيت أن نتجاور فى الرحلة الأخيرة، حتي ما إذا اشتاق أحدنا للآخر فلن يكلفه الأمر سوى ايمائه يمينا أو يسارا.. لكن يبدو أن هذا أمنية صعبة المنال.

(17)

أمرأة تايواني

الفرق بين المنتج الاصلى والتقليد لأى سلعة من السلع ليس صادما، فالمسألة يحكمها الاعتياد والعشرة، طالما أنها قادرة على أن تعطى نفس النتائج المتوقعة والمطلوبة، أما مسألة الشكل والخامة فيعوض عنها فرق السعر، ونجاح التجربة من عدمه هو المعيار الوحيد للحكم، والأسواق الآن مليئة بالبضائع الصينية والتايوانية، حتي وأن كان هناك بعض النواقص فيمكن اضافتها بسهولة، فالقرصنة شملت كل شيء، ليست هناك أدنى مشكلة فالأمر يشمل كل شيء بدءا من الاجهزة الكهربائية حتي العواطف الإنسانية.

أستطيع أن أبدأ من جديد مع امرأة أخرى غيرك يا «حبيبتي»، مازال فى العمر براح، ولن يكلفنى الأمر سوى البحث فى الأسواق والأرصفة والمعارض المتنقلة، تجربة فاشلة ليست معناها انقضاء الأمل.. وليس صحيحا أنك تملكين مفاتيح قلبي كما تزعمين.. ربما يكون قرارى الوحيد الصائب الذى لم تساعدينى على اتخاذه هو الانفصال عنك، فقد مللت تبعيتك والسير وراء نظراتك وأنفاسك وعتابك المستمر

حول أى تصرف اقوم به، فكل ممارساتي أعاقب عليها أمام الجميع وكأني تلميذ اهمل واجباته المدرسية.

أريد أن اتحرر منك، واستعيد عافيتي ونضارتي وانطلاقى من جديد، اريد أن تكون الكلمة الأولى والاخيرة لى من دون وصاية، فأنا استطيع أن أصنع امرأة غيرك، تحمل نفس مواصفاتك الخرافية والتي لا تستطع أى امرأة أن تبلغها أو تقترب منها، سأعلمها كيف تشعر وتعشق وتغنى وتحنو وتعطف، وأن تعطى بلا حدود ودون انتظار مقابل؟ أريد امرأة أشعر معها بأننى اقودها واتحكم بها، لا تسوقنى كالبعير، لقد اختزنتك داخلي.. سأقول لها أن حدود تفكيرى تبدأ منك وتنتهى إليك، سوف تكون تابعة لى ولأفكارى وأحاسيسى، ابتياع نسخة مكررة منك امرا هينا، وبتكلفة أقل كثيرا.. لا يهم أن تكون مقلدة، سأعلمها طريقتك البديعة فى امتصاص غضبى، وتخفيف آلامى، وكيف تحتفظ فى عيونها بسر بشاشتي وطفولتي.. وأن تمنحى القوة والثقة، وأن تلبى احتياجاتي الكثيرة وطلباتي الطفولية. ربما تناسبنى وتوافق هوايا امرأة تايوانية مقلدة، فأنا ايضا لا املك مواصفات أصلية، ومأساتي الكبرى أننى كنت أشعر بضآلتي معك، وبقدراتي المحدودة.

وسأراعى ألا أكشف عن أخطائى وما يدور بداخلى حتي لا تقوقعنى وتقيدنى وتستبيح الهواء الذى اتنفسه كما فعلت.. سأحرص على عدم البوح بأحاسيسى حتي أملك دائما طريقا للتراجع، فلن أدار بعد ذلك بالريموت مثلما كنت تفعلين وتتحكمين فى تصرفاتي وانفعالاتي.. استطيع أن أبدأ من جديد مع امرأة جديدة لا تعرف عن تاريخى شيئا سوى أننى عاشق منتصر، سوف أحكى لها عن انتصارات وهمية ومعارك خضتها وظفرت بغنائمها وحدي.

وإذا فشلت فى ذلك سوف ارجع إليك ذليلا كما كنت دوما، وسوف تغفرين لى، لأننى تعودت الجنوح والمقامرة والتطرف وارتكاب الأخطاء الكبيرة بحجة عدم الفهم، وتعودت منك الغفران. سوف أحاول وإذا فشلت، سوف تسامحينى، فأنا منك وإليك حتي وأن تخيلت فى لحظة جنون أننى استطيع الاستغناء عنك، سوف تسامحينى، فسامحيني.

(18)

رجل صيني

أنت رجل سهل الكسر، رخيص الثمن، أمثالك يتكومون علي الأرصفة والنواصي، تباع بالجملة وبالتقسيط، وأحيانا تضاف إلي السلع الرديئة لجذب الانتباه وجر الزبائن التي تلهث وراء الكم، متوافر أنت بالأسواق الشعبية والأزقة الضيقة الخانقة التي تطفح بها مواسير المجاري، وتفوح منها الروائح الكريهة، فلا تجعل من نفسك تاجر شاطر، وانت سلعة مهملة تبحث عن باعة متجولة.. كشفت كلماتك البائسة عن ضحالة ثقافتك وفقر ابداعك، انا بالفعل سلعة مقلدة، لكنك لا تحمل أي مواصفات صناعة، فأنت سهل التركيب والفك، وفي أحسن الحالات انت لا ترتقي لزهور الزينة البلاستيكية التي تفتقد الحس والذوق والروح، ويضعها السوقة داخل بيوت الراحة لتضيف عليها فانتازيا متخلفة.

حاولت إيجاد عذر مقبول لك يفسر تلك الأفعال الغريبة والمشينة التي تصدر منك تباعا، نعم أعترف بأنني بحثت عن عذر، يجنبك الحرج، أو اللجوء للكذب الذي فشلت في احترافه هربا من مأزق قد تضطرك تصرفاتك البلهاء للوقوع به، أو أن شئت حاولت أن أبني جسرا

هلاميا لنعبر عليه بعدما حاق الخطر من كل جانب، فقد كنت على يقين أن ضعفي من الاشفاق عليك عندما تبدأ مرحلة التوسل والرجاء سوف يرجع بنا إلي نقطة الصفر. لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون مهمتك في الحياة هي كسر الاشياء واتلافها، وتكون مهمتي هي اصلاحها مرة أخري. تحمل مسئولياتك مرة واحدة فقط، وواجه نفسك.

أنت لا تستطيع أن تصنع قرار، فكيف تصنع أمرأة غيري، وما الذي منعك كل هذه السنوات التي انشغلت فيها بالندب من أن تفعل شيئا ذات قيمة، لا تحزن المجال مفتوح أمامك فآرني قدراتك الخرافية أو حتي العادية، تريد أن تكون الكلمة الأولي والأخيرة لك دون وصاية فخذ قرارك الآن، خذ قرارك الآن، هل تنتظر الاذن مني، كان عليك أن تحاكم نفسك أولا وأن تلقي عليها هذه التفاهات التي سطرتها، انت رجل سلبي لم تصنع أي انتصار حقيقي، احترفت الشكوي والبحث عن ضحية تحمل خيباتك المتكررة وفشلك المتوالي. فكن رجلا وافعل أي شيئا، اطلق يداك في وجهي، فلن أغضب منك.

لا أريد أن تتحول رسالتي إلي علامات استفهام، دعك من كل هذا الهراء، وأفصح لي ما الذي دفعك لذلك، رضيت بك بكل ما تحمله من نواقص وسلبيات ودربت نفسي علي التكيف معها، تريد أن تدخل تجربة أخري مع امرأة أخري بنفس مقوماتك الحالية، فمن تلك التي تستطيع أن تحتملك، وتسدد عنك تلك الفواتير الآجلة حتي أذهب إليها متوسلة لترفع عني عناء حبك.

خذ حذرك منى، ولا تتوهم خيرا فى شفقتي، فقد جردني حبك من الانسانية، لقد اختزلت كل المروءة بأفعالك.. واستعد لأننى سوف

أمارس معك كل المحاولات التي تؤدى إلى اختفائك من الدنيا.. فلا أمل فى إصلاحك، فقد أصبحت رجل معطوب، تالف، انتهى تاريخ صلاحيته.. وسوف يكون احتضارك؛ شعورا جميلا يكسبنى بعضا من النشوة واللذة.. فتحمل ما ستلاقيه.. سوف أمارس معك الجريمة الكاملة.. ولكن دون بكاء.. فأنا أعجز عندما أرى دموعك تلك التي تضعف داخلى أى مقاومة وتجعلني اتراجع.. اتراجع..

(19)

رحلة الوهم

ليس من العدل أن أظل متجولا بين المحطات والمطارات والموانى أبحث عنك، انقضى العمر وارهقتنى التجربة، ولم احتمل أكثر من ذلك، أخشى أن يلقى حتفى دون أن أظفر بك، ويلقى بي فى إحدى صناديق القمامة انتظارا لمن يتعرف على ملامحى، أو أن ادفع فى ثلاجات حفظ الموتي الغرباء، أصبحت الآن بلا موطن أو عنوان، فأنا منذ زمن بعيد أحمل حقيبتي وأطوف الدنيا فى محاولات بائسة.

إلى متي سوف أبحث عن قصتي الأخيرة فى الأرصفة الموصودة المقفولة؟ وعلى الشواطئ المشبوهة المزدحمة..إلى متي؟.. سئمت الرحيل والتجوال خلف بوابات المدن الخربة المسكونة بالأشباح والأحزان.. إلى متي سيستمر هذا الترحال القسرى الاضطراري؟ طفت كل المدن بحثا عنك.. ووقفت على مراسى الدنيا انظر فى المدى البعيد عن ملمح يرشدني إليك.. أو عن شراع جرفته الريح جنوبا أو شمالا، لكن الشوف عجز عن رؤية شئ يتبدى من عمق البحر أو من قلب الوهم، حتي بدأ الجميع يتشكك فى نوايای، ولم يعد أحد يصدق روايتي الخرافية عندما اقول أننى ابحث عن حبيبتي الغائبة،

ولأنى أعيش داخل ذاكرة تعبة ومرهقة اتشبث بأى أمل حتي ولو كان وهميا، فيمارس معى البعض السخرية ويقذفوا بى إلى بلاد بعيدة بغية التسلية، وعندما أذهب إلى هناك اكتشف مأساتي، وأعود ليمارسوا معى ذات اللعبة من جديد، ولا اتعلم من التجربة، فأنا أخشى أن يكون تخاذلى سببا فى فقدانك.

عندما كان يحل بى التعب وترهقنى قلة حيلتي كنت أتمنى أن تأتي لى فى صورة وهما وخيالا فاستريح واكف عن المحاولة، حتي الوهم ضن على بالمجئ.. تركت الدنيا وما فيها من أجلك، ولم يشغلنى شيئا منها سواك فأنت الدنيا وأنت العمر.. احتاج فقط بضع دقائق احكى لك فيها عن رحلتي الطويلة الشاقة، اخبرك ماذا تحملت وعانيت وكابدت وقاسيت، وواصلت الليل بالنهار، صعدت الجبال، وهبطت الوديان، وركبت البحر والجو، عمرى كله مرهون بنظرة واحدة، او كلمة واحدة أو ايماءة واحدة، ليس كثيرا على، بل أنا استحق جزاء كريم على معاناتي الشديدة، فليس من الانصاف أن تكون تلك نهايتي.

اتفحص فى وشوش الغادين والراحين بحثا عنك.. لم يتبق من العمر إلا قليل.. أصعب شئ يا حبيبتي أن ننتظر العمر بحثا عن شئ لا يأتي ولن يأتي.. لكن الأمل يجعلنا نخترع الكذب على أنفسنا ومن حولنا حتي لا نفقد شهية الاستمرار، ويقتل اليأس فينا الأمل ويتحول إلى لحظات باهتة تعوق استمرار الرحلة.. أصعب شئ أن نحفر بأيدينا قبورا أبدية وندفن فيها أحياء بإرادتنا قربانا لسراب..

يمضى العمر وئيدا بطيئا ويسحب معه بقسوة آخر الأنفاس.. آخر الكلمات.. آخر الأمنيات.. وآخر اللحظات.. عندما تهون كل الأشياء لا تبقى سوى نظرة من عينيك.. كلمة تجعلنا نتذكر أن العمر لم يمض

سدى أو دون ثمن.. لن ابكيك.. فلم أعد قادر عن البكاء، بعدما لفظت ضلوعي كل آهات الألم..اسدل الستار ولا عزاء.. ولا عناق.. ولا بكاء.. ولا لقاء..كل الغائبين عادوا إلا أنت.. إلا أنت..إلا أنت..

(20)

شجرة السنديان

فى الزمن الصعب تفتح الدنيا ذراعيها لتحتضننا.. تبدر فى عيوننا أحلاما بالوفرة بعد كساد دام كثيرا.. وتطرح الفرحة فى سنابل البهجة وعيدان الخير.. فى الزمن الصعب تأتي الأحلام المؤجلة بعد سنين الحرمان الطويلة.. تهرول إلينا بعد أن ترى الحسرة والشعور بالانكسار والكهولة ارتسما فى مقلتينا، ولكن بعد فوات الأوان.. تتوالى الفرص الكبيرة فى الوقت الضيق المتوتر، وفي زمن لا يحمل ملامحنا.. تفترش الارض وتعلن عن وجودها فى تحد.. بعدما كانت تضن علينا بأن تلوح أو تمر؛ المرور العابر السريع.. كنا فى الماضى نترقب أنصاف الأشياء وفتات النور وشحيح الأمل الخافت..

تذكر شجرة السنديان التي كنا نلتقى عندها؛ شاخت وذبلت وتساقطت أوراقها بعد ما كانت يانعة تملؤها النضارة، لكنها تحتفظ بقيمتها، وطالما جلسنا تحت أغصانها نستظل بفيها نهارا ونردد أبيات العشق والغرام حتي ينتصف الليل علينا. هل تذكر؟! فترنا معا وتهالكت عزيمتنا وأصبحت الآن لا نفع منها سوى حجب الشمس فى

أيـام القيظ.. وصار جدارها مرتعا للعشـاق الصغار تنحت عليه قلوبهم الصغيرة وحروف اساميهم..

لا اسـتطيع أن أعـود بالأيام للوراء، وأن اسـتطعت فلـن أتمكن من مسـايرتها وملاحقتهـا، نعـم مازالـت القلـوب متأججة بالحـب، لكن ينقصهـا الانطـلاق، فهـل تسـتطيع أن تفعـل ذلـك؟ لم أكـن أعرف أن الانطباعـات القديمة تدوم كل هذا الوقـت وتلقى بظلالها لأبعد مدى، فرغم السنوات الكثيرة التي مرت، والتجارب التي خطت خيوطها على الوجه والعقل وخبرة الحياة المتراكمة، لازال اللقاء الأول عالقا بذهنى لم يبرحه، بل تثقله الأيام حيناً بعد حين بأواصر متينة.

فرقت بنا السـبل وابعدتنـا تراجيديا الحياة، وتداعـت الخيوط فوق بعضهـا وفرشـت شـبكة عنكبوتيـة شـديدة التعقيد، حاولـت التخلص منها عبر سـنوات طويلة، لكن محاولاتي تهشمت على صخرة الذكري القديمة، وتعقدت مشـكلتي أكثر فأكثر، وبات الخروج أملا تمنيته وعز علـى اقتناصه، حتي كدت أشـعر أن فى الأمر شـيئا غيـر طبيعى، يخفق القلب الملتاع، وتضطرب المشاعرى وتتأجج، وكلما حاولت تجاهلها دقـت بقوة داخل ذاكرتي المتعبة، واسـترجعت لحظـات الماضي بكل قساوته وحلاوته.

وعندمـا يأتـي اللقاء الآن، لا أدري هل هو عـزاء، او محاولة جديدة للعذاب، لسـنا مضطريـن لتقديم اعتذار علي سـنوات العمر الفائتة، لم يكـن الحزن عليها لأنهـا فرقت بيننا.. ولكن لانها اخـذت معها الانوثة والجمال والقدرة على الفعل.. تراجعت لياقتنا كثيرا بتقدم السـن، فهل تكفي المشاعر لمزاولة العشق بعد كل هذه السنوات.

يبدو أنك لم تنظر فى وجهى جيدا.. ارقبنى مثلما كنت تفعل من قبل.. فتلك الخطوط المنحوتة فى وجهى حفرت بفعل الزمن وصارت تجاعيد، اصبحنا مثل شجرة السنديان المعمرة.. زحفت الخشونة والرطوبة إلى مفاصلنا.. لم يبق لنا الآن سوى اجترار الماضى من الذاكرة الهرمة التعبة، ويكفينا أن الأيام سرقت رغما عنا، ولم نبددها، أنت رجل جميل ولكنه أتي في الزمن القبيح.

(21)

بقايا قصة

لـم أندم على شـيء فى حياتـي مثلما ندمـت على تعليمـك القراءة والكتابـة، فلولا هـذه الخطيئة الكبرى التي ارتكبتهـا بإرادتي ودون أى تحريض من الشـياطين، ما كنت استلمت خطابك الأخير، والحق أننى استحق أكثر من ذلك، فكل مجرم يجب أن يكفر عن جريمته بأى شكل من الأشـكال حتي يسـتتب العدل فى الدنيا وينتشـر السلام والوئام بين الناس جميعا، وهاأنذا اكفر عن جريمتي بقراءة رسالتك.

وصلنى خطابـك المترهل المنتفـخ بالهواء.. قرأته لم أفهم شـيئاً.. أعـدت قرأته مـرات ومرات.. فسـطورك الخائفـة المفزوعـة المترددة تهرب منها الكلمات، وحروفك البائسة الخاضعة تئن من فرط ضياعها وتشـتتها؛ معان تبحث عن جمل صريحة مفيـدة دون جدوى.. وأعذار واهيـة كعادتك.. ومحـاولات للتبرير فاشـلة ومتدنيـة، لا تقنع طفلاً.. واكاذيب فى صورة حقائق، وحقائق تحولت إلى أكاذيب وأمور أخرى اصابتنـى بالكآبـة والضيق ليـس من فرط سـذاجتها، ولكن من بشـاعة سخافتها.

رسالتك يا عزيرتي عاجزة ومكبلة، لا تحمل دفء الأحاسيس أو اى منطق، ربما فقدت الإحساس والتمييز، جاءت بعد طول غياب تتسكع على رصيف توسلاتي.. وتحاول أن تتسلق أسوارى بلغة ركيكة هابطة، وبأساليب رخيصة، وحكايات ملفقة، كوجهك المستعار وقلبك الإسفنجى، كنت أعتقد بأنك بارعة فى الكذب، لكنى أصبت بخيبة أمل ضاعفت من غضبى عليك، كانت رسالتك هى رصاصة الرحمة التي اجهزت على علاقتنا وقضت على أى أمل كان يحوم فى الافق، وصار الآن شبحا فى الاساطير.

لست نادما على شيء.. فقد تعلمت.. وأصبح واجبا أن أقدم الشكر والعرفان.. أعلم أنك لم تقصدى كل هذا الهراء الذى سطره قلمك، وصلنى نعشك، أقصد خطابك الاخير، وبعد قراءة المقدمة الطويلة المملة التي تبعث على الضجر والسأم والإشفاق والنعاس المتقطع، تمنيت لو لم يصلنى، وندمت ندما شديدا على معرفتي بالقراءة.. كى تظل صورتك عالقة بذهنى، حتي ولو على سبيل الذكري.. تناسيت أننى من علمتك كيف تتكلمين وتشعرين؟ ولأنك غبية لم تدرك أننى أكثر الناس مقدرة على فهمك، وكشف خداعك.. حاولت أن تمارسى معى تلك الألعاب الساذجة التي علمتك اياها ويا ليتك تعلمتي حقا، فلم تشفع لغتك المكسورة، بل كانت دليل إدانة وقرينة اتهام على أنك أسوأ وأغبى امرأة فى التاريخ.

لا عزاء ولا رجاء.. انقضى زمانك.. واسدلت الستائر السوداء على آخر مونولوج فكاهى، لم يستطع أن يخرج ضحكاتي، بل نلت ما تستحقين من لعناتي، ربما يكون ممكنا فى ظروف أخري.. وفى زمان آخر، وفى مكان آخر، وبالتالى مع شخص آخر غيرى، بشرط أن تتخلى

عما تتصفين به من سطحية وبلاهة وسوء تقدير، أما أنا فمن الصعب أن أتجرع تلك الكأس الملوثة مرة أخرى، فأنت يا عزيزتي امرأة من يصادفها فى أحلامه مرة واحدة، تنتابه حالات الصراخ والفزع.. ولا يتمنى أن يراها فى صحوه مرة أخري.. فإذا أردت أن تقتحمين نومى ، فأعدك بأننى لن أنام..

(22)

الهـــروب

محاولة رديئة للهروب لم تفلح في تمريرها، ولم تسعفك لغتك السريالية في تشتيتي، تقمصت الدور لكنك نسيت الحوار الذي يتفق مع الشخصية، فجاء ادائك فولكلوري شعبي متكلف ومضحك في ذات الوقت، كلمة عامية وأخري فصحي، حاولت اقحامي في حساباتك المعقدة.. وداخل عباراتك المأزومة المخنوقة وتصرفاتك البلهاء.. فلماذا تحمل الأشياء أكثر مما تطيق أو تحتمل.. دعنا نسمى الأشياء بأسمائها الصحيحة، ولا داعى للمبالغة أو التلاعب بالألفاظ حتي لا نرى أنفسنا خارج حدود المنطق ونبتعد عن المشكلة الرئيسية التي نعاني منها ووصلت بنا إلي هذا الحد.. عليك أولا أن تفك رموز هذه الطلاسم التي صنعتها بنفسك.. وأن تعترف باخطائك.. ثم نحدد بعد ذلك المسئوليات.. إما أن تعلن الحرب وتأجج النار المشتعلة فهذا سوف يفقدنا كثيرا من هدوئنا واتزاننا ويجعلنا نتخبط فى الحوائط الناشفة الصلبة.. الهروب من المناقشة وتحديد الأدوار جنون..انتحار.. هل مطلوب مني كل مرة أن القنك الدرس، الم تفهم من نفسك، لقد سئمت تكرار الكلام.

اشكرك لأنك علمتني القراءة والكتابة فلولاك ما استطعت ان اقرأ رسائلك الملهمة التي تصيب كل من يقرأها بالجنون، واحمد الله ان خطابي اصابك بالاكتئاب فهذا دليل علي أنك مازلت تشعر، اما سطوري الخائفة وحروفي البائسة ولغتي الركيكة وعباراتي التائهة المشتتة فلا ذنب لي في ذلك فقد اعتمدت علي معلم فاشل لم يفلح في تعليمي بشكل جيد وتفرغ لتعنيفي، فجاءت ممارساتي كما قرأتها اكاذيب في صورة حقائق، وحقائق تحولت إلي اكاذيب، وصف دقيق ومفعم يحتاج إلي قاموس لاتيني لترجمته.

تلقي التهم على وكأننى السبب لما نحن فيه وليس غباؤك ورعونتك وضيق أفقك.. معذرة لن أقبل أن أكون ضحية أو كبش فداء.. فلست على استعداد لتحمل أخطاء الآخرين تحت أى مسمي..عليك أن تتحمل عواقب أفعالك وحدك، لست فى حاجة لأن أذكرك أن تلك العبارات التي قذفتها فى وجهى لا تلقى أى بال أو اهتمام منى.. قول ما شئت.. انتهازية..أنانية، من حقك أن تعبر عن مصيبتك حتي وإن كان بإلصاق التهم بى.. فلن يتغير شئ..

نهاية جميلة تروق لي عندما يسدل الستائر عليك وانت تلقي هذا المونولوج الهزلي والذي سوف يكون ذكري تستدعي الضحك والفكاهة، وأعدك أن بشرط أتخلى عن سطحيتي وبلاهتي وسوء تقدير، ولو الأمر لن يحتاج الي أي وعود، بغيابك سوف اتخلي عن اشياء تافهة كثيرة علقت بثوبي، حتي إذا صادفتك مرة في أحلامي سوف تنتابني حالات الفرح، ويمكنني الآن أن أنام ملء جفوني، وعندما استيقظ سستغرد الطيور علي نوافذي وتبشرني بيوم جميل.

ربما تكون حالة من حالات الملل التي تصيب العاشقين نتيجة الروتين الذي يعيشونه بشكل متكرر ودون تغيير، وربما تكون قد تقلصت قدرتنا علي الغفران والتسامح، وأصبحنا لا نطيق صغائر الأمور ونجعل منها خطايا كبري، وربما - أخيراً- تكون الحكاية قد انتهت هذا الحد، وأصبح من الصعب الاستمرار أكثر من ذلك، وعلي أي حال نحن في حاجة إلي وقت مستقطع نقيم فيه الأمور، ونقف علي الأسباب الحقيقية التي جعلت حكايتنا أشبه بألواح الثلج.

(23)

لعبة الحب

فى حضور الجميع، نمارس لعبة الحب علنا، ننطق بالكلمات دون أن يسمعها أحد.. ونرسل النظرات عبر عيونهم دون أن ترصدها راداراتهم المنتشرة فى كل مكان والتي تحاول أن تتلصص علي تحركاتنا وتحصي انفاسنا وأهاتنا، لكننا لا نبالي ونكتب قصص الحب والعشق، ونطير فوق روؤسهم نتهامس بالاسرار.. نتبادل الرسائل فى حضرتهم وأمام أعينهم لكنهم لا يشعرون، أن الخسوف يحدث مرة واحدة، لكنه معنا يحدث كل لحظة..

نتعاتب، نتعارك، نتشاجر، وفى نهاية المطاف نتصالح، ولا أحد يدرى شيئا، وكأننا عشقنا أن نجعلهم أصناما لا تسمع ولا تري ولا تشعر.. نشتاق لممارسة الحب أمامهم ولا يمنعنا شيء من البوح والصراخ والهتاف والغناء.. تعودنا علي تلك الطريقة السحرية في العشق، واخترعنا اساليب جديدة تمنحنا البقاء والديمومة.

يتوسمون فى أنفسهم الذكاء وسرعة البديهة، ويحاولون اقامة الحواجز بيننا حتي لا تلتقي أرواحنا وتسبح في عوالمها الخرافية،

يظنون وهما أنهم قادرون علي تحجيمنا وتكبيل عواطفنا المتأججة، لكننا نثبت كل لحظة أننا أكثر مكرا وأنهم بلهاء يتمتعون بقدر كبير من السذاجة، أو نتمتع نحن بقدر كبير من الدهاء. فنحن نملك كل الفراغ المحيط بنا، ونرضخه لاهواءنا ولهونا ولعبنا، ونستبيح كل الاشياء لننعم بها في حضرة الزحام والضجيج الذي لا ينقطع ولا يهدأ.

فى حضرتهم آتي إليك أصافحك أحادثك أغازلك، ثم أصحبك معى فى رحلتنا اليومية، نحلق فى مدينتنا نلعب ونلهو ونرقص ونتجاذب الكلمات المعسولة الجميلة، ثم نعود، ولا أحد يدرى بأننا تركنا المكان.. نكتب فى العشق قصصا لم تكتب من قبل، ونروى حكايات لم تحك من قبل، ونسبح فى مياه لم ينزل فيه أحد من قبل، أننا باختصار نعيش فى مملكة لم يقترب منها أحد، مملكة نصنعها من خيالنا وافئدتنا الملتهبة بالحب، لا احد يستطيع اقتفاء أثارنا.

نختطف أيامنا قسرا وطواعيه، لا نأبه بأى شيء ولا نرتكن لمن حولنا، كالأطفال نحن فى براءتهم، لكننا نحمل العقل الذي يحمينا من شرور الآخرين.. نمارس الحب سرا، لأنهم لن يسمحوا لنا بممارسته علانية، فليس هناك حرج علينا طالما أن ذلك هو سبيلنا الوحيد للالتقاء، ورغم ذلك نحن أيضا نجد متعة فى التغرير بهم.. فما أجمل الشر إذا تهافتت قلوبنا عليه فى حضرة البلهاء.

يحاول البعض أن يشغلنا في أمور تافهة حتي لا تلتقي عيوننا الساكنة في مقلتينا، وعندما نري اصرارهم الشديد علي تغييب عقولنا نمتثل لهم كذبا ونغرر بهم، بينما نحن هناك في قصرنا المشيد علي جزيرة احلامنا، نشق البحر ونصعد القمر، ونقتطف من الورود أحلاها،

فنقتسم رائحتها بين شفاه لا تشبع ولا تروي وتبحث دائما عن المزيد، أن ممارسة لعبة الحب معك يا حبيبتي هي ممارسة الحياة بكل أشكالها وألوانها وأسرارها، ودونها تنتهي كل علاقتنا بالمكان والزمان، فتعالي نمارس حبنا ليل نهار، ولا نكف ابدا تذوق حلاوته حتي ولو كان ذلك في حضرة الجميع ورغما عنهم.

(24)

مولان روج

هناك بعيداً عن المكان والزمان، حيث كانت الأحلام شحيحة.. منذ أكثـر من قرن.. وتحديدا فى «مولان روج» مسـرح الحياة الكبير، حيث الوجوه الوحشة والطيبة، كانت الألوان الفاقعة والأقنعة المطاطية تخبئ وراءها وجوها بائسة وتعسة.. تختزن كل واحدة منها حكاية مريرة.

فى «مولان روج» كان هناك «كريستيان» ذلك الشاب اليافع الطموح، ذو القلب الأخضر والتجارب البيضاء، وكانت أيضا «سـاتين».. المرأة التـي طبعت على ملامحها تجاعيد الزمن، وتصفحت الأيام فى عقلها، فخبرت مأسيها مبكرا، وقصة الحب الممزوجة بالكبرياء والرغبة.

غادة كاميليا أخرى تدفع حياتها ثمنا بخسا لعشقها.. تتضفر الخطايا بالأمنيـات، ويتبـدل المسـتقبل ويصيـر مشـحونا بالعذابـات والليالـى الطويلـة، حتـي تغدو التضحية قدرا وطريقا لا مفر من السـير فيه، ولأن الرغبة غالبا ما تكون مخدراً للحالمين بالنسـيان.. الهاربين من واقعهم وقسـوته، فإن «مـولان روج» تلك البقعة المضيئة التـي تطفو فوق بحر مـن الدموع والمآسـى تكون المحطة الأخيرة، لكنها تضع هذا الشـرط القاسى والمتعسف، والتي تحذر فيه القادمين إليها من ترك قلوبهم عند

بوابات الدخول، حيث فوضى المتعة تحد من خفقانها وانتظامها.. ولأن الصخب المجنون فى أرجائها لا يقبل بالأحاسيس ويرفض تمريرها.. ومهما حدث فلابد أن يستمر العرض.. ربما يكون التوقيت هو الشيء الوحيد الذى يخضع للنظام.. أما عدا ذلك فكل شيء مباح ومحتمل حدوثه.. ولأن البشر أداة ديكور لا تختلف عن قطعة أثاث أو جدار، كان العشق يمثل انتحارا واحتضارا فى زمن لا تكتب فيه الأشعار أو تتداول فيها عبارات الغزل..

ولأن «كريستيان وساتين» لم يتبعا تلك القواعد الصارمة ضاعت صرخاتهما فى الطرقات والأروقة حيث الموسيقى الصاخبة التي تحجب كل شيء إلا الهذيان، ولأن القانون لا يحمى المحبين ظن الناس أن تلك الصرخات وهذا الانتحاب نوع من الفرح والرغبة اعتادوا سماعه فى صالة الرقص الكبري.. لابد أن يستمر العرض حتي نهايته مهما حدث، إنها لعبة مقدسة من قديم الأزل، جرى العرف على استكمالها لآخر حركة، وقبل إسدال ستائر المسرح يصطف الجميع لتحية الجماهير..وعندها تعود الحياة مرة أخرى بعد أن يسترد الناس قلوبهم عند الخروج..

تختلط الأدوار الحقيقية بالرواية التمثيلية، فنرى «كريستيان وساتين» يأديان أدوارهما فى الحياة.. يتقصمان الشخصيات ويتعايشان معها حتي يصلا لذروة الاندماج وهما لا يدريان أنهما يلعبان، وأن تلك الشخصيات هزلية لا تمت بالواقع، لكنهما يتشرنقان داخلها ويرفضون حتي بعد انتهاء العرض وانتزاع الأقنعة.. تسقط «ساتين» قبل أن ينتهى العرض.. يلتف حولها الممثلون.. لكن عيناها المستسلمة للاحتضار تبحث عن «كريستيان» الذى يجلس بجوارها دون أن تلحظه ، تتحشرج

أنفاسها التي كانت ملتهبة فى بداية العرض لتخرج بصعوبة.. باردة.. سقيمة.. عليلة.. تتابع الجماهير ما يحدث مشدوهة ومشدودة.. ظنا منهم أنه أحد فصول الرواية.. بينما الممثلون كانوا يعون جيدا خطورة ما يحدث.. العرض لابد أن يستمر، حتي لو كانت «ساتين» تلفظ أنفاسها الأخيرة.. أو أن «كريستيان» حالت دموعه دون تكملة الحوار.. فلابد للعرض أن يستمر.. نحن هنا، وآخرين هناك لتكتمل الحكاية الجميلة، فلابد أن يستمر العرض..

(25)

الوشاح البنفسجي

لست فى حاجة إلى اعتذار.. دعك من الكلمات الباردة، فالموقف لا يحتمل، ودعينا نعبر من أيسر الطرق وابسطها، فليس هناك ضرورة لتذويق القبح والاختباء فى ستائر عارية تفضحك ولا تستر افعالك السخيفة، أن افتعال ما ليس فينا حماقة وغباء، فكل شيء واضح وضوح الشمس، فماذا يجدى من تلك الافعال المكشوفة التي تحقرك ولا ترتقى بك، يمكنك لملمة أشيائك فى هدوء أو فى صخب كما يحلو لك.. كل شئ كما تركتيه آخر مرة، لم يتغير مكانه، ولم يعبث به أحد، فهذا المكان لم يدخله غيرك، ولن يدخله غيرك.. لازالت رائحتك تعبق المكان وتستبيحه، وأظافرك هى آخر ما لمسته، زهورك تحتفظ بعبيرها الفواح، وإن كانت أعوادها جفت.. وشاحك البنفسجى المثقوب كما تركتيه على وسادة أيامى مازال يحلم بدفء الكلمات وحنين النظرات، الصور الخاصة بك موجودة بالألبوم أعلى رف المكتبة، احملى كل ما ترغبين فى حمله، ولا تهتمى أن كان لك أو لى، فالقسمة شيئا لم نعتاده فى يوم من الأيام، وليس من اللائق أن نتبعها الآن، تعالى نحافظ على الشكل بعدما استبحتي الجوهر واغتالتي معانيه الجميلة.

كنتِ حريصة على التقاط الصور بمفردك، رسائلك المائة ملفوفة بالشريط الأحمر، ولاعة السجائر الخاوية، كتاب كنا قرأناه معا، بعض أدوات الماكياج الفارغة، ومشابك شعرك المتناثرة، ثوب اسود بغرفة النوم، يمكنك انتزاع اللوحات البيضاء الخاصة بك من على الجدران، فنجان قهوتك الأبيض مطبوع عيه شفاهك الارجوانية، يمكنك اعادة الغرفة لحالتها الأولى، لا حاجة لى بشكلها الحالي.. استعيدى اشياءك وأرحلى بهدوء.. دون وداع، أو نظرة نصفها شفقة والنصف الآخر شهوة، ليس هناك كلمات أروع من الصمت، وليس هناك حاجة لتبرير ما حدث، لن تجدى الكلمات، ولن تزيل العبارات الشيك شحوب الحكايات وتجاعيد الذكريات.. امضى بهدوء..

لملمى أشياءك المبعثرة فى سنين حياتي وأيام عمرى، ولا تنسى انفاسك الملتهبة التي احرقت مشاعرى فى ليالى الشتاء، همساتك العبيرية التي رطبت هجير عمرى، أجمعى ما تشائين وأرحلي.. كلماتك التي جرعتنى أول كلمات الحب، لمساتك الحانية التي طيبت جراح القسوة من الآخرين، لحظات بكائك على صدرى ليال طويلة، ولا تنسى أن تنزعى من فوق كتفيك يدايى التي ربتت كثيرا، وخصلات الشعر الملتصقة بثيابى.. ضحاتك العالية التي كانت تدغدغ احباطاتي وانكساراتي.. نظراتك المسافرة فى الأرجاء والأركان وزوايا الغرف، صادرى الذكريات والليالى الجميلة، واطو الأيام بين راحتيك.. لملمى اشياءك وارحلى فى هدوء، وحاولى أن تطوفى على كل الاماكن التي شهدت لقاءاتنا وامحى منها كل الذكريات التي عشناها هناك، شجرة كتبنا عليها حروف اساميناء نهر ارتشفنا من مياهه فارتوينا، هواء استنشقنا عبيره فأسكرنا، حاولى قدر استطاعتك أن تمحى كل اثارنا،

فلا تشغلي بالك بى، فأنا بالفعل تم محوى من الذاكرة ومن الوجدان، فلا تخشى مني. لم يعد لى شيئا بعد الآن.

دعينى أتأمل ما حدث، وسوف أبذل قصارى جهدى لايجاد تفسير يعفيك من الحرج مما حدث، فأنا المخطئ المذنب، لا تقلقى فسوف ألوم نفسى وأوبخها وأعنفها، وأحملها كل ما حدث، واتهمها بأنها..... اتهمها بماذا؟ لن تنسى أن تساعدينى فى ايجاد اتهام الصقه بنفسى، حتي اعفيكى من كل التزاماتك العاطفية.

(26)

المرتبك

دعك من هذه التصرفات الصغيرة، فلسنا مراهقين حتي نلف وندور حول أشياء فرعية لا طائل منها غير إضاعة الوقت، وكن صريح ولو لآخر مرة فى حياتك، ماذا جد؟ هل هناك امرأة أخري؟ الأمر كما تري أسهل مما تتصور، يمكنك الرد بنظرة عين، فأنا أعرف لغة عينيك الكاذبة، وكثيرا ما كنت اقرأها وأكشف ما بها من رغبة وشبق وطموح، وكثيرا ما أرضيتها، نفس الكلمات تتكرر، وكأنها اسطوانة لموسيقى جنائزية. لم أعهد فيك هذا الخجل من قبل، تمتعت بالبجاحة الشديدة التي لم تراع فيها الذوق، فما الذي بدل من طباعك، كانت دائما رغباتك تجد لها طرقا يسيرة للخروج، وبدون أى خجل أو استحياء، ماذا حدث الآن؟

أتذكر أنك صارحتني يوما بمشكلة صديق لك، يحاول أن يفكك علاقة عاطفية تقيد حريته، ونصحتك حينذاك، بأن الصراحة هي أيسر الطرق، والقيت عليك كيف يخرج من هذا المأزق، وأتذكر أن اقتراحي وجد صدي طيب عندك، فهل أنت هذه الصديق المزعوم؟ وهل أنا

ذلـك المـرأة الغبيـة الذي لم تفهم بعد؟ الأمر بسـيط جـدا ويحدث في احسن العلاقات العاطفية، فما بالك بعلاقاتنا الفاشلة الخائبة.

دعنى أيسـر لك الأمـور أكثر، فى الفترة الأخيرة مـن علاقاتنا، هبت علينا ريح باردة، جثت جذور الحب والعشـق فى أرضنا البور، وذهبت عن لقاءاتنا الحميمية والشـوق والعبارات المعسولة، لاحظت ذلك من عصبيتك المفرطة التي كانت تنتابك من غير سبب، وتعجلك الدائم في الانصراف دون ابداء اسـباب منطقية، ربما أكون أصبحت أكثر عصبية، أتكلـم كثيـرا دون اعطائك فرصة للـرد أو التعليق، لـم أعد أشـترى لك الورود كل يوم، أو أغدق عليك بالهدايا فى أعياد الميلاد، حتي اللحظات القليلة التي تتسم فيها طباعى بالهدوء، أكون شاردة وتائهة عنك.. وفى هـذه الأونة خفـق قلبك لأمـرأة أخري، هادئـة ورزينة وعفويـة، وربما تتفجر منها الأنوثة وينسـاب الدلال علي شـفتيها عندما تتكلم، تشعرك بجولتك، وتشتري لك الهدايا الثمينة الذى ترضى فضولك وتطلعاتك، لديها شـقة، وسـيارة، فأنا أعلم أنك انتهازي ووصولي، والأهم من كل ذلـك أنها تجيد التعامل معك، وتترك لك حرية التصرف والحركة دون قيـود، وأن امكاناتها تفوق قدراتي المتواضعة، وأنك تري انها فرصة لا يجـب التفريـط فيها، خصوصا إذا كان البديل امـرأة مثلي فقيرة معدمة، متوترة ومتسلطة، حقيبة يديها خالية دوما من المال.

ربما يتوق لك هذا السيناريو السريع، لإنهاء هذا الموقف السخيف، أشـفق عليـك مـن الإحراج، تكلـم لا تقف مثـل التماثيل فـى الميادين العامة، فليكن ما رددته صحيحا، ليسـت هناك مشـكلة، يمكنك أنت أن تجمع اشـيائي وتضعها في كيس أسود وتتركها عند حارس العمارة، أو

يمكنك التخلص منها، فليس بها شيئا ثمينا كما قلت، فهذا سيجنبك رؤيتي ويعفيك من حرج انتقاء كلمات حميمية في ظروف مرتبكة.

لا تكلف نفسك عناء البحث عن تهمة تلصقها بذاتك العليا حتي تبرر هروبك المفاجئ، يمكنك الانسحاب بهدوء ودون أن تنطق بكلمة واحدة، الامر يسير جدا، فرجل مثلك يجتهد في ايجاد عذر ينهي به علاقة حميمية لا يستحق العزاء أو حتي كلمات التأبين.

(27)

محظية هندوسية

ليس باستطاعتي انزال المطر، أو تغيير اتجاهات الريح حسب أهواء شراعك، فتلك قدرات الخالق، وأنا أضعف من أن أقرر شيئا لنفسى واجتازه، والا ما الذى يجبرنى على الاستمرار معك كل هذا الوقت، محتملا سخافاتك المستمرة، الحب دائما يكون بين طرفين يقفان على نفس المسافة، والعاشق ليس الفانوس السحرى كل مهمته فى الحياة أن يلبى الرغبات، حتي وإن كانت تلك المهمة الشاقة مشروعة، فماذا ستقدمين انت؟

لست واحة تلجأين إليها كلما استبد بك الألم.. أو عندما يحل عليك التعب والاختناق من رياح الخماسين.. كنت ازعم أن هناك أشياء بيننا يصل فيها الود من أقصر الطرق وأيسرها.. ورغم ملاحظتي المستمرة بانك تأتين إلىّ عندما يكون هناك ما يؤرق ذهنك أو يشغل بالك أو تحاولين سد بعض من وقت تسرب إليه الأرق والملل، إلا أننى كنت أوعز ذلك لأسباب أخرى شديدة الصلة بالاحتماء أو الاحتواء، وليس الحاجة المجردة، أو كنت أصبر نفسى وأطيب خاطرها، اسمحى لى أن

أقول كنت اخدرها واغيبها عن واقع تنبأت بفواجعه، وحاولت كثيرا ألا أصدقه، الآن ثبتت صحة توقعاتي.

انت امرأة اخطأت طريقها، كان اولى بك أن تبحثى عن شخص خارق يستطيع تلبية طلباتك التي لا تنتهى، أنت لست فى حاجة إلى رجل، انتي فى حاجة إلى مول تجارى به عشرات المحلات : مجوهرات، ملابس، احذية، وجبات سريعة، ولا ضرر من بائع فشار مياه غازية، ودار عرض سينمائي للأفلام التافهة.

لم تكن كلماتك التي شبهتنى إياها بالغرور والتكبر هى القشة التي قصمت ظهر البعير.. فالظهر قوسته أفعالك، وتوالت انزلاقاته التي لم تتوقف بفعل استفزازاتك المتكررة.. كنت احسب فيك عقلا راجحا ودماثة أخلاق راقية، لكن افعالك فاقت كل اللياقة واللباقة وحسن التصرف، انت دائما تطلبين الاشياء الخطأ فى الأوقات الخطأ بالطريقة الخطأ. والمربك أنك لا تخجلين من طلبها وتظنين انها حق اصيل من حقوقك.

ترغبين فى الرحيل، وتطلبين الاذن في الذهاب، وهل مطلوب مني أن أوقع بموافقتي علي رحيلك، فليكن، اوافق دون شرط أو قيد، واتنازل عن كل متعلقاتي لديك وهذا اقرار مني بذلك، أخشي أن تكون محاولة رخيصة للتفاوض والتراجع، فنصيحتي الاخيرة ان تنطلقي فكل الأبواب مفتوحة تصحبك السلامة، انتي يا عزيزتي لا تريدين الحب، انتي وبمنتهى الصراحة ترغبين فى رجل ينفق عليك.

لست مهراجا هندى، ولم أعاملك يوما على أنك محظية هندوسية، فلماذا هذا الانحدار فى التعامل، والسوقية فى طلب الحاجة، حاولت قدر الإمكان أن أرتقى بك، وألا اقترب من تلك المناطق التي قد تعلق

بثوبك أى شائبة، لكنى أراك دائما تشتاقين للسقوط، وتغالين فى طلباتك، وأنا لا مانع عندى من تلبية كل ما ترغبين فيه، ولكن لى سؤال واحد، ماذا سوف تقدمين نظير تحقيق هذه الرغبات، حاولت كثيرا أن اعاملك كأميرة وحبيبة، لكنك كنت تصرين دوما بأنك عاهرة، وتقاتلين على أن يكون الدفع مقدما.

(28)

ديكتاتور شرقى

أحيانا تحاكمني..بقوانين باطلة ومجحفة، تحصرنى فى محيط محدود.. أتلفت فى المكان بحثا عن منفذ عن مهرب أو حتي هاوية.. لكن كل ثقوب الدنيا تفضى إليك.. سئمت القيود والقوانين، والإرشادات المدرسية، أحاول الفرار بعيدا، لكنى لا أستطيع.. تنفذ داخلى وتحكم قبضتها على مفرداتي ولغتي، فأجد نفسى لا أتكلم بل أسبح فى عالمها وأذوب حتي أفتت. يا ليتك كنت مهراجا هندي أو حتي تاجر ايراني يبيع السجاد، انت ديكتاتور شرقي متخلف، يهوي اقتناء النساء ويرفض أن يدفع ثمن متعته، وعندما تنتابه حالات الملل يقرر أن يبيعهن بأغلي الأثمان، وربما يقايض عليهن بآخريات.

مازالت عيناك تحاصرنى.. تترقبنى.. تتعقبنى.. تتلصص على، تعد أنفاسى، وترصد كل تحركاتي.. تحدد لى الإقامة الجبرية فى محيطها، وترسم الاتجاهات التي أرنو إليها.. تحاسبنى إذا أخطأت، وتعنفنى إذا جنحت، تعاملنى وكأننى طفلة، تحتاج إلى تهذيب وتأديب، تفرض على شروطا جائرة بعدم التحرك، والتجوال والنظر إلى أشياء أخرى

غيرهـا، تعقد معى اتفاقا تحتكر به نظراتـي وإيماءاتي، اتفاقا يتجدد من تلقاء نفسه، دون الرجوع لموافقتي.

لا تغضب من كلماتي، فعشقك أفقدنى خصوصيتي، وجعلنى امرأة بـلا هوايـات، بلا صداقات أو أماكـن خاصة أخلو بها مع نفسـى، فكل مواعيدى إليك، وكل ضحكاتي معك.. حتي تحولت حياتي إلى سجن كبير أنت فيه الأسـوار والسـجان والجلاد، فمتي يكون العفو الصحي؟ ومتـي أوفى مدتي؟ اشـتاق أحيانـا للصراخ بصوت عالـى، وللضحك بهيسـتيريا دون أن تحاسـبنى عينيـك وتقول لى فى لهجـة حادة وكأنك معلم يكره تلميذه أخفض صوتك حتي لا تتعرض للعقاب.

أعذرنـى أن قلت أننـى مللت روتينك وعاداتك السـيئة التي ضاقت بهـا حياتـي وأصبحـت لا اطيقهـا ولا اطيقـك، فـلا يمكننـى احتمالها وممارسـاتها كل يـوم دون اجازة أو فسـحة.. فالاجازات حق مشـروع تنـص عليـه مواثيق حقوق الانسـان فى كل بلـدان العالـم، وتكفله كل مواثيق منظمات العمل الدولية والمحلية.

اسمح لى أن أعلن عصيانى وتمردى على عينيك.. وأن أتطاول على كل قوانينـك الجائرة، وأطالب بحقى فى القصاص منك على سـنوات عقوبتـي التـي قضيتها دون تهمـة أو جريمة، وأن أتحـرر من عبوديتك، وأتخلـص مـن كل التماثيل التي اجبرتنـى على عبادتهـا، وأن أحطمها تحـت قدمـى، وأجعلهـا ترابا وأحجارا انثـره فى عينيـك والقيه عليك، فمـا أنت إلا وهما صغيـرا تافها صنعه ضعفى وقلة حيلتي، أسـتطيع أن أسـحقك فى أى وقت.. فأنا الذى صنعتك، اسمح لى أن أفضح عينيك تلك التي اسـتباحتنى، وغررت بى، وأن أعلن للناس بأنك ديكتاتور لم تمنحنى يوما ممارسـة الحب بحرية، وانك كنـت تقوم باغتصابى يوميا

ودون شـفقة، أسـمحى لى أن أنزع قيودك التي ارهقت معصمى، وأفتح حدودى المغلقة، وألغـى كل الاتفاقات الذليلة التي عقدتها معى رغما عنى وتحت تهديد السـلاح، وأسمحى لى أن أتخلص من سجنك ومن قبضة عشـقك، واذا كنـت أنا عاهرة كما وصفتني فلمـا لم تدفع حقوق الاستغلال، ورضيت علي نفسـك أن تكون قوادا يسـتبيح عرق النساء ويحتكر جهود لياليهن الحمراء.

(29)

سـلافـا

لـم يكـن بكائى حينها، لأننـى افتقدك للأبد، ولـم تكـن تلك الدموع التي سقطت من عينى دليلا على يأسى وضياع حلمى، ولا لأن نافذتك التـي كانت تشـع هواء صدرى سـوف تغلق للأبد، وليـس لأنى راهنت علـى حبك بـكل عمرى فهنت وهـان عمري!!.. ولكـن لأنك اخترت أقسـى النهايات المحتملة إيلاما وتعذيبا لي.. كنت أدرك حجم الفروق بيننـا، وكنت أعشـم نفسـى دائما، بأن الحـب يصنع المعجـزات، رغم يقينى باسـتحالة العلاقـة، لكنى كنت أتخيل ذلك، بـل كنت حريصاً أن أوهـم نفسـى طـوال الوقـت.. وكانت كلماتـك تذيب هذه المسـافات الوهمية التي صنعتها ظروفى التعيسة.. كانت النظرة فى عينيكى تقوينى وتصلبنـى.. لا أهاب أى شـئ.. كنت عملاقا بحبك.. والآن لا مرسـى لى ولا شطآن..

كان يمكنـك أن تواجهينى بكل أسـبابك الملفقـة والمنطقية.. لا أن تجعلـى فارس أحلامـك المنتظر، يوصـد أمامى أبـواب الرحمة.. هل أحبـك مثلـى، وضفـر حياته فـى خصلات شـعرك؟ وبنى مـن عينيكى

قصور الحياة ومفردات الحكمة، من الظلم يا أميرتي أن أسهر الليل أنا، وتعطيه هو قبلة الصباح..

كنت استطيع أن اخبره بما دار بيننا، ولكننى آليت على نفسى أن انزلق فى هذا المستنقع، ألم تجدى وسيلة احقر من تلك، من أن تجعليه يوصد الشرفة التي شهدت رضوخك لرغباتي وجنوني.. كنت سأقدر ظروفك، وربما كنت ابذل قصارى جهدى فى ايجاد مبررات منطقية تعفيك من الحرج، أعلم أن ظروفى الصعبة لن تتح لى الفرصة للتقدم أكثر من ذلك، ولم اخفى ذلك عليك فى يوم من الأيام، ولم أسعى لاحراجك مع الآخرين، ورغم أننى كنت انتظر نهاية العلاقة فى وقت قريب جدا، لأن من تمتلك مواصفاتك لا يمكن بأى حال أن تنتظر على رصيف الفتيات شخصا عاديا مثلي.

ألم تكن هناك نهاية أفضل من تلك النهاية؟.. ألم أستحق بعضا من الاحترام والتقدير؟.. لقد أغدقت عليك كل الاحترام وكل التقدير.. هل تذكرين انتظارنا طوال الليل خلف النوافذ؟.. والدقات الثلاث التي كنت أطلقها على نافذتي.. فتردين بمثلها، فيخفق قلبى، وتفتحين النافذة وتفتحين الدنيا.. كان وداعا فقيرا مهينا.. لم يرق لرقتك.. كما أننى لم اقتحم حياتك ولم افرض نفسى عليك، كانت هناك علاقة حميمية بيننا، فلم أكن اتخيل أنك حبيبتي، أو اننى كنت ابنى قصور وحدى، بل شاركتنى كل شيء، نعم كانت هناك علاقة بيننا ولم التقى بك مصادفة فى ترومای السبتية حتي تعاملينى بهذا الشكل المهين الذى يعامل به بائعو النعناع فى المواصلات العامة.

لازلت اذكر كلماتك وهمساتك وشفتاكى التي استبحتها وارضعتها الحب قطرة قطرة، ولم ابخل عليك بعواطفى، فلماذا هذا السلوك

المشين الذى يسيئ إليك، مازالت رائحة أنفاسك تسكن وجداني وترسم لي الطرق السير ومحطات الانطلاق.

لم يكن بكائى حينها.. لأننى لست جديرا بك.. أعلم نقاط ضعفى جيدا.. وأعلم مقدارك، ولكنى كنت أعشم نفسى عندما تحن ساعة الفراق، أن أكون جديرا بها.. لا أن أطعن فى قلب لم يعرف شيئا سوى عشقك..

(30)

مـانـــدو

فى لحظات الصباح الأولى، عندما تدب القلوب فى سعيها الدءوب نحو الرزق والعيش والحياة، تختلط فى نفسى أصوات الصياح القادمة من بعيد لتضمد جراح الأمس، تروى ظمأى المسافر عبر رحلاتك الطويلة، وتذيب من على صدرى جبال الملح والغربة، عندها فقط تغرد الطيور وتعزف الأصوات تلك السيمفونية التي طالما انصتنا إليها طويلا..

تأخرت كثيرا، واكتفيت بالكلمات حتي فضح أمري، وكان علي اسكات تلك الافواه التي انشغلت بسيرتي وحكايتي، وتفرغت انت بالمشاهدة والانصات دون أن تفعل شيئا، هل كان يرضيك أن اظل مرهونة تحت مقتضيات الظروف التي لم تنصلح ابدا، وكان يومي يبدأ على جرح لم يندمل.. ولا تطيب آلامه، مرت سنوات طويلة فهل أتممت قصة من بعدي وكللت بالارتباط، أم مازلت في رحلة التكوين المستعصية، هل كان يرضيك أن انتظر كل هذا الوقت؟

اصبحت الأيام مسلسل من الانتظار، لا يقطعه سوى التفكير بأمل العودة والتلاقى مرة أخرى، تصعب الأمانى وتستحيل فى زمن البخل،

لكنى لم افقد الأمل فى رؤيتك يوما ما، وعشت على الذكرى والانتظار ومرارة الفراق، ولم يعد لى سوى الكلمات التي اطرحها كل صباح على نافذتي علها تجيب عن سؤالى المتكرر، هكذا يبدأ يومى وينتهى اسئلة لا تنتهى واجابات لن تأتي، وانت في غربتك الاختيارية تدخر الاموال والاجهزة الكهربائية وكثير من العلاقات.

كنت أعلم أن الحياة دونك سوف تكون موحشة وبالغة الصعوبة، لكنك لم تترك أي خيارات أخري انتظرت صياحا قادما من بعيد ربما تكون زفة العودة الأخيرة، ادمت النظر بعيدا ربما ارى طيفك يقبل على فرحا بشوشا كعادته، لكن الانتظار طال به الأمد، ولم أعد اقوى عليه، بعدما فترت عزيمتي وانهكت قواي..

حاولت ادفع التهم الملفقة والظالمة التي تحاك حولك، وأمنع سهامهم المنطلقة نحوك، والتي لا هدف لها سوى النيل منك، لكنى فشلت فى اقناعهم بأنك على صواب..وبأنهم ملفقون كاذبون مخادعون، لم يمنحونى حتي فرصة لالتقاط أنفاسى، وتجمهروا حولى ورفعوا اصواتهم حتي لا يسمع صوتي أحد.. وكان سؤالهم المتكرر : اين هو، ولماذا لم يأتي؟

قلت لهم أن عيناك اللامعة تزداد بريقا عندما يلقى القمر ضوئه فى مقلتيها، فكذبونى، وأن شفتاك تبتسم عندما تلقى عليها الحياة تحية الصباح.. وأن ما تلوكه الألسن افتراء وبهت واجابات ضالة لأسئلة لقيطة ومتسولة تحاول القصاص منك دون سبب.. لكنهم كذبونى ونهرونى ووصفونى بأننى خارقة كاذبة، تبتدع أساليب جديدة لتمارس من خلالها الرذيلة، اعتبروا أن حبي لك وانتظاري الطويل محاولة لاخفاء جريمة بشعة.

لم أجد غير الرضوخ بعدما حوصرت واغلقوا في وجهي أبواب الرحمة، والقيت علي الاتهامات الباطلة، فجاءت موافقتي لدرأ الشبهات ودفاعا عن كرامتي التي تناسيتها في زحمة الدفاع عنك وتبرير غيابك الطويل، شغلتك أمور الدنيا ونسيتني، وعندما حاولت تضميد جراح الأيام، فتحت في قلبي جرحا كبيرا، أعلم انك الآن تلهو بعدما اصبحت ذكري، لكنك ستظل أول وآخر حب.

(31)

وعـــود طـــائـــرة

ظننت أن جروحى اندملت، وصارت مع الوقت وشـما على الجلد يذكرنـى بتلك الأيام البعيـدة التي رحلت بين الحسـرة والندم، ودربت نفسـى طويلا على طى هذه الصفحة ونسـيانها بكل ما فيها من لحظات جميلة وما أكثرها وأخرى حزينة وكانت شحيحة جدا، فقد ألمنى البعد وقلـة الحيلـة فى اعـادة المياه مـرة أخرى للسـريان، ورغـم محاولاتي اليائسـة للنسـيان، فإن هواجسـى كانت تحرضنى دائما على الانغماس فى التفكير بك حتي يأخذنى الشـوق ويبحر بخيالى بعيدا، فتترامى أمام الصور والمواقف، ولا امنع نفسى من الحسرة على ما فات.

مـرت الأيـام، ولا أدرى كيـف مرت، بعدمـا أهلت نفسـى للرحيل المبكر، وبدأت فى كتابة نهايات السـطور لحكاية قصيرة انتهت سـريعا علـى غيـر ما كنـا نتوقع، وسـط دهشـة الجميع مـن انتهائهـا المفاجئ، ورجعـت اوصـد تلـك النوافـذ التي كانـت مفتوحـة علـى مصراعيها، ليحل الظلام ويفرض قتامته على كل ممارسات الحياة، ويسدل الستار على الحكايات والهمسـات والإشارات، وأصبحت بين ليلة وضحاها ذكـرى، مجـرد ذكرى تهيل الألم حينـا بعد حين وتعتصـر فؤادى الذى

مازال ينبض بحبك حتي تلك اللحظة.. أحيانا كانت تبتعد هواجسى وأشعر أننى شفيت من هذا الداء المستعصى، ثم افاجئ بنوبات متتالية من التفكير، اعلم أن الحكاية انتهت، لكنها تركت شجنا جميلا استدعيه كلما زحف الشوق يدغدغ فى مشاعري.

تأخذنى الأيام بعيدا، وأحاول جاهدا ترتيب علاقة أخرى ليس بغرض نسيان حبك الذى يسكننى، وانما لكى أرحم نفسى من نوبات التفكير التي تزلزنى وتستبيح حياتي، وللأسف كانت جميعها تفشل قبل أن تبدأ، حتي كان اللقاء العابر الذى تلاقت فيه العيون، وأعاد الحياة من جديد، ودبت الدماء فى العروق التي تراخت واستسلمت لمصيرها، ليفتح جرحا قديما تمنيت أن يوصد للأبد، ورغم أننى تحاشيت عن قصد التواجد فى تلك الأماكن التي يمكن أن اراكى بها، جاءت أقدارى لتحبط مسعاى، وتعيد الأمور لنقطة الصفر من جانبى على الأقل.

كدت أغرق فى فرحتي، أقول كدت، لأننى أثرت السلامة حتي لا أسبب لك جرحا آخر جديداً، ملتزما بكل الوعود التي قطعتها على نفسى فى لقاءنا الأخير، والتزامى لك بأننى لن أحاول أن اعترض طريقك مهما كلفنى الأمر، لكن صدفة تسوقها اقدارى أمر لا شأن لى به، أخيرا وبعد طول انتظار ها هى الدنيا تفتح ذراعيها من جديد، فرحت وكأنى طفل وجد ضالته، حتي أنى خجلت من تلك الفرحة التي افقدتنى توازنى مرة أخري.

هل عوضتنى الدنيا عن صدفة، حاولت صنعها وتدبيرها، وفشلت، ما كان أبعد من القرب، وأقرب من البعد إليك، فهى مسافات لو سطرتها فى كلمات لأفسحت لنا طرقا تخطو عليها مشاعر العاشقين، أخيرا انطلقت الكلمات التي كانت فى القلب تتأجج، والتي سجنت

بفعل البعد، فما منعنى عنك سوى شجاعة نقصتنى ومغامرة احتسبت فيها الخسارة أكثر من المكسب.

والآن.. لم يعد للكلام معنى، بعد أن التصق الندى بالوردة، فهل آن الأوان لنعيد ترتيب الأشياء التي شتتتها الأيام. ان الوعود فى العشق بالهجر قرار بالانتحار وتسفيه للمعشوقة، وهاأنذا اتراجع واسحب كل الوعود التي الزمت بها نفسى وابرئ منها قلبى، حتي ولو كانت ضد رغباتك.

(32)

رهان خاسر

راهنت على كل الأشياء وكانت دائما توقعاتي مخيبة لطموحاتي وتصوراتي، وخسرت ما لم يخسره أحد.. لكنى أبدا لم أخسر رهان عليك، فقد كنت دائما تفاجئنى بأشياء لم أكن اتوقعها.. كانت عشرتك معى مليئة بالمفاجآت السارة وغير المتوقعة، والافعال الشيك التي ما كنت تخطر ببالى يوما والتي ارضتني.

ربما هذا كان يجعلنى ابالغ فى توقعاتي بأنه لن يصاحبك سوء طالع فى أى وقت من الأوقات، إذا ما أتيت وطرقت باب قلبي المفتوح لك وحدك، ورغم قرار الانفصال بالابتعاد إلا أنك ظللت كل الوقت تسكنني ولم تبرح مكانك ابدا، كنت أغالى بل شئت كنت اتحدي قلبي وكانت تأتي النتائج مربكة وملهمة في ذات الوقت، لأقتناعى بك وإيمانى بك وثقتي اللامحدودة، ولكى أثبت لنفسى بأن هناك أشياء لا يمكن الرهان عليها، حتي ولو كانت خرافية وإعجازية لم يستطيع أى إنسان تجاوزها.. وكانت تأتي خيباتي تباعا..

كنت مدفوعة إلى التحدى والمواجهة بقوة مهولة لا أدرى من أين استمديتها، وكنت راقيا وبديعا إلى أقصى حد، بالغت كثيرا وتمنيت

أن تخفق ولو مرة، ليس طمعا فى انتصار زائف، لا اتمناه ولا ترتضيه مشاعري، ولكن لامتثال الأمور، فمع الاستثناء تكتمل القاعدة نضوجا.

كانت الليالى طويلة ثقيلة وبطيئة، لم تمر بسلام، بل تركت ما تركته من أمراض والام وحسرة.. مازلت أعاني منها حتي الآن، لست افضل حالا مما سبق، على العكس، فأنا الآن اقاسى الامرين من تلك الاشياء التي تركت بصمتها على بدنى وعقلى وقدرتي على الاحتمال..كم كنت اتمنى الموت والخلاص من حياتي تجنبا لهذا العذاب الذى فاق حدود البشر، الا أن سوء حظى لم يمنحنى هذا الاسترخاء الأخير، وكأنه كان مقدرا على أن اعيش ربيع شبابى محرومة منك بقرار منى لا احتمله ولم يحتملني، وأن ابقى ما تبقى من حياتي اتحسر واتأسف على تلك العذابات التي نالت منى واستحكمت، وربما هذا ما يجعلنى اسأل نفسى ما بين الحين والآخر، لو عادت بى الايام دورتها الاولى، أى الطرق التي كنت اسلكها، هل هو نفس الطريق الذى جرعنى كل هذه المآسى، أم أننى كنت سوف اترك لنفسى براح الحياة ورغد العيشة، قطعا كنت ساختارك أنت.

ساورني الشك كثيرا في عدم تحملي مشقة البعد والهجر، كنت أدرك أنك آخر الحكايات الصادقة فى الزمن الكاذب.. وستظل ذكرياتي معك هي لحظتي الراسخة وأوراق اشجارى اليانعة وشمسى التي لا تغيب.. لم أتكيف مع واقعي الجديد ولفظتني كل الاجواء المحيطة بي، لم يكن الأمر هينا، بل كانت التعاسة تفرض اشعتها علي نافذتي كل يوم، وحاولت أن اروض مشاعري التي استبحتها وأجعلها تابعة لى، تنفذ تعليماتي وترضخ لى ولأوامري.. حاولت أن أقودها حيث

أشاء ووقتما أريد.. حاولت أن أبدل موقعي.. لكنى فشلت.. ويبدو أنها تنصاع لك بشكل يصعب تغيير مساراتها.

الآن اتنصل من كل عهودي ووعودي وأعلن الرجوع دون شروط مسبقة، واقدم دون خجل اعتذارا يحفظ لك ماء وجهك، ويلزمني باتباعك والخضوع لك، وأقر أن السير وراء ظلك يمنحني الكبرياء والتميز..

(33)

امرأة استثنائية

اغتربت حياتي عند لحظة الفراق.. فى ذلك اليوم الجميل، الذى ساقته لنا الاقدار.. رويت ظمأى من مياه عيونك وشبعت ورضيت.. وملأت عينى بنظرتك الطفولية البريئة الهادئة التي تتقطر عشقا.. كنت أشعر بيديك التي لم تلمسنى وهى تربت على كتفى، قلقك المستمر فى خطواتي اللاهثة.. عيناك الزائغتان، شفتاك اللتان كانت ترقبنى وتقرأ حولى ايات من القرآن.. كان يوما جميلا مازلت اتذكر تفاصيله واحفظها عن ظهر قلب.. كنت اردد ما بين نفسى : سيطول غياب الشمس والقمر والنجوم.. ما اقسى العقاب عندما احرم منك.. وصادفت الظروف أن نتجاذب الحديث فى اليوم التالى، وآه من ذلك الحديث، كم كان حميميا ودافئا، تكلمت كثيرا، وفتحت قلبك كعادتك، واحسست بأن السماء تمطر تمرا وقرنفلا.. تسربت عبر حروفك آهات كثيرة، أدمت قلبى العليل، ودغدغت أحاسيسى، لكنى تحاملت على نفسى، كان حديثك اشبه بالموت اللذيذ والبطئ.

سافرنا بعيدا كعادتنا ولم تلمحنا عيون الناقمين الحاقدين ، تجولنا فى الشوارع وارتشفنا الحب ، تسكعنا وتصعلكنا، وغنينا أغانينا

الجميلة.. ارتمينا على الأرصفة الناشفة فلانت.. وناجينا العشاق فى عشقهم.. كنا جسرا للكلمات التي ظلت حبيسة الصدور.. وأقمنا موائد عشق للمحرومين.. خلت الشوارع من المارة إلا من همس قلبك ودقاته.. عندما كانت تشتد وحدتي وتهزمنى ارادتي كنت اجتر من كلماتك قوت عزيمتي فأنهض من جديد.. وأطرح السؤال المستحيل، كيف تكون الحياة دونك.. ولماذا كل هذه الوجوه دون وجهك وهو ملاذى وسطوتي ونفوذي.. هل حل العيد على ناصيتك.. لم أره يا حبيبتي.. اليوم هو عيدي.. اشتقت إليك.. اشتقت اليك.. لا تستطيع مفرداتي العاجزة وصف الحيرة التي انتابتنى والقلق الذى استبد بى فى غيابك.. كما هى الكلمات بائسة عندما تعجز عن تدقيق المشاعر وضبطها وإخراجها فى جمل حقيقية..

كانت حسرة ويتما ووحدة وخوفا.. نعم كنت احيانا أشعر بالخوف وقلة الحيلة..أحيانا كنت اهرول إلى الشارع كى احدثك بصوت عال دون رقيب أو محاسبة.. كم من الكلمات القيتها فى صدرك، وكم من دموع ذرفتها..كنت بلا قلب ينبض أو هكذا تخيلت.. إذا اردت الرحيل فعليك أن تعيدى لى شريانى ووريدى وقلبى وعينى وفمى ومشاعري.. اذا اردت الرحيل فأنت تعلنين بذلك عن وفاتي.. يا اعظم امرأة فى التاريخ.. يا اجمل بنات حواء.. يا انقى شيئ فى الوجود.. احبك.. احبك.

يا قارورة عطرى التي لا تنضب ولا يجف رحيقها.. كونى عبيرى الذى لا ينطفئ ويشع حولى التوهج والحيوية.. دونك أضل الطريق وأتوه بين غياهب اللحظة ومفردات الصدف بحثا عن مرفأ أو مرسى أو عنوان.. فى غربتي أشعر أن كل نساء الأرض يشبهونك، يتصفن ببعض

من سماتك وملامحك، يحاولن جاهدين فى عبث أن يلحقن بقافلتك، فيبدين فى المؤخرة لا يستطعن اللحاق أو القرب البعيد منك.. فترفقى بهـن.. هناك اشـياء مازالت بيننـا لم يمحها الزمن ولا فتـرات الغياب.. تتجـدد عند كل لقـاء.. وكأنها تلقى فـى راحتي ذكرياتـي الجميلة.. لم تبرحى خلجات تفكيرى حتي عندما كنا ندفن رءوسـنا فى مياه البحر.. كانت عيناى ترقبك..مازال عبيرك يهفو على نفسى بين الحين والحين، ومازلت صورتك وعيناكى اللامعة أرثى الذى تبقى لي.

(34)

رجل استثنائي

حاولت أن أسرق من دواوين العشق كلمات الحب، كى أزفها إليك، افتش عن معان جديدة لم أرددها، أو جمل لم اسطرها فى رسائلى، لكنى فوجئت بأنهم جميعا يسرقون أشعاري.. حتي أصبح اسمك على الألسن والأفواه اسطورة.. نفد الورق والقلم.. فلم أجد غير الجدار كى اروى له الحكايات.. حتي اتهمنى الناس بالجنون والهذيان وشككوا فى قدراتي العقلية.. فبدأت أردد عليهم أن مأساتي هى عجزى الابدى عن وصفك..

يا قاتلى.. لا تحرك خنجرك القابع فى احشائى.. لا اخشى الألم أو النزيف.. فقد تعودت الألم وغرقت فى دمائى مرارا.. لكنى أخاف غروبك عني.. فتعالى وارقص على اشلائى ، فدق الطبول والمزاميز يعيد تكوينى من جديد.. ينضج نومى مع أحلامك.. ويتسلل طيفك إلى فى عتمة الليل ليخفف أرق السهد..

أكليل من الريحان أنت.. وتاج من الفل والياسمين يتوج كل العاشقين.. ظلت أمواجى المستكينة تعانق الرمال فى هدوء حتي أتيت فبدأت أعاصير حياتي تدب فى شريانى المتعب رياح الحب.. يكفينى هذا القدر من الحب فأشواقى ما عادت تحتمل المزيد.. يا

ثورتي الكامنة فى الضلوع لا تنفجري.. لم تحن بعد لحظة ضياعي.. يا امبراطور مملكتي يكفينى نظرة كل مائة عام، فالضوء الساطع من عينيك يغشى عيون الناظرين.. يا أفضل تواريخ حياتي.

على خطوط يدك.. مكتوب تاريخ ميلادى ووفاتي وسيرة حياتي، انتصاراتي وهزائمي.. ضحكاتي ودموعى، على خطوط يدك سر وجودى فلا تقبض راحتيك فى ليالى الشتاء فالجليد معك دفء لا ينتهي.. تذكرتك.. عندما كنا نسرق من ايامنا لحظات البقاء والطمأنينة.. ونرتشف من حالات الاندهاش استمرارية وتواصل..نكتشف الطرق الخالية حتي لا تجرحنا نظرات الاخرين، فنقطعها ذهابا وايابا نتخفى من العيون المخبأة، ونلون الأرصفة بما يتساقط من شفتيك ومقلتي عينيك فتفضحنا بقايانا..

ترتسم الايام أمامى وتتجسد اللحظة.. تفترش مساحات الشوف وتدغدغ احاسيسى، تعيد لمشاعرى نبضها الغائب والمهمل، تتراكم الصور والمواقف وكأنها تستعيد عبقها القديم، يداك التي كانت ترتبك عندما الامسها.. ابحث عنها فى ظل الكلمات فلا اجدها، فأعيد من جديد البحث عنها حتي إذا ما تلاقت وتشابكت سقطنا فى بحر العسل.. تتلعثم الحروف وتتوه العبارات.. تستولى اللحظة علينا لتعيد اكتشاف الحكاية التي لم تبدأ، والتي انتهت نتيجة الخوف المسكون بأعماقى، فلم اعبأ بمخزون الشجاعة التي كنت تمتلكه..

تذكرت تلك الرقصة التي لم تكتمل وتلك القبلة التي اغريتك بها.. هل تذكر ماذا قلت.. «هناك اشياء إن لم نفعلها ظللنا العمر كله نأسف عليها». فارتميت فى حضنى وارتميت فى حضنك وتعانقنا وكأنه العناق الاخير.. كانت عينك تحتوينى وتستوعبنى، تلقى على الكلمات الجميلة تشجعنى وتقوينى..تذكرت عندما كنت تقتحم احلامي.. وتقلق نومى وتستبيح كل.. شيء.. وتمارس معى العشق اللذيذ..

(35)

داليـــــدا

لم نوفق فى اختيار الوقت المناسب لبدء تلك العلاقة القلقة التي لم نجن منها سوى المتاعب والمشاكل وتدخلات البعض.. كنا نعى منذ البداية بأننا سوف نلقى كثير من اللوم، ويبدو أنك تناسيت هذه الحقيقة مع الوقت، وكنت قد حذرتك بأن المستقبل سيشهد ثورات غضب من يحيطون بنا وسيحاولون الوقيعة بيننا، وأن الأمر ليس سهلا ولن يمر بهدوء، وكانت ردودك الدائمة بأنك تدركين ذلك وأكثر منه، لكن الأيام تثبت عكس ذلك!

لست المهزوم الوحيد فى هذه المعركة.. اعلم ذلك جيدا، فأنت ايضا تجرعتي ويلاتها، وحتي اكون صادقا ربما اكثر منى، ولكن عندما صرحت بذلك كنت اصف حالتي.. وما كان يجب عليك ان ترددى «بأنك الخاسرة الوحيدة» فهذا يحمل ظلم واعتداء على مشاعرى التي فاضت وما جمحتها يوما عليك والمواقف كثيرة ولا داعى لأعددها عليك، وإلا ما كنت وصلت لهذه الدرجة، ربما كان موقفك اضعف، او انك كنت فى وقت من الاوقات مثار انتقاد وتهكم من تلك العيون الزائغة التي تبحث عن ثرثرة هنا وهناك ولم تجد غيرك مرتعا لسهامها

النافذة وعباراتها السخيفة، لكننا ايضا تقاسمنا العذاب بالنصف والألم والحسرة كل حسب نصيبه. فأنا ايضا تلقيت ما ضاق به صدرى، ولم احتمله.

لم يكن يجول بذهنى القاء التهم عليك او تفريغ شحنات الغضب حتي ابرأ نفسى أمام الجميع، وادلل للبعض بأننى كنت ضحية، ضحية من؟ ضحيتك انتي؟ انت التي وهبت لى الحياة من جديد، وهل يعقل أن اكتفى بالتيمم والنهر ملء يدي؟ وماذا يفيدنى عندما اكسب العالم واخسرك، ترى هل يستقيم الامر معي؟ واكون بذلك قد خرجت منتصرا دونك.

اخشى ان ينتهى الامر بنا الى الهاوية، وتكون منتهى غايتنا الحاق الضرر بانفسنا والتشهير دون قصد او بقصد، ففى تلك الحالة يكون الحاقدين قد نجحوا فى تشويهنا وجرنا الى مستنقع الكراهية، وعندها لا نلوم الا انفسنا. أشعر بأن عاطفة الحب التي نمت بين صدورنا وتشعبت تتحول إلى شوك وأرق يخنقنا ويشعرنا بالضيق والتململ.

لست الوحيدة، بل كنت شريك بالنصف، ودون ان نخوض فى تفاصيل سخيفة، ضحيت وعانيت وتحاملت على نفسى كثيرا، مثلك ولن اقول اكثر منك، واحيانا شطرت نفسى نصفين حتي اكون عادلا، وساقتنى قدماى إليك وانا اعى تماما مخاطر تلك الخطوة وتبعاتها، كنت اعلم كل شيء، واحيانا كنت اسأل نفسى، هل يمكننى مواجهة تلك الأبواب التي فتحت أمامي. وكانت اجابتي القاطعة بأننى استطيع ان أفعل أى شيء شريطة ان تعى الظرف الذى نعيشه وما يقتضيه، دون ضغط او تعجل او اقحامى فى اشياء لا استطيع مواجهتها، فلست خارق للدرجة التي تجعلنى اقف أمام الريح لاواجهها وحدي.

نعـم نحـن الاثنـان جريحان، بل اسـمحى لـى ان اقـول دون خجل أنـا الجريـح الأول.. وأن لجوئى إليـك كان بغرض ازاحـة الهموم عن صـدرى، ولكن للأسـف تضاعفت وفاقت حـدود احتمالى، وبدلا من التفكير فى ايجاد حلول لها، أصبحت متفرغا تماما لمشـاكلك الجديدة التـي لا تنتهـي. تقوليـن مـا لا تفعلين، وتفعليـن ما لا تقوليـن، وكل ما يشغل بالك هو صورتك أمام الجميع.

(36)

عاشقة مهزومة

اقترب المشوار من نهايته أو كاد، ولاحت الأيام الاخيرة فدعنى استأنس بالذكريات أو ما تبقى منها وأرحل، لست الشخص المناسب، وأرى انك تضيع وقتك دون فائدة، فلا نفع منى ولا ضرر، هكذا كما تري بقايا عاشقة دونت قصصها على أوراق الشجر وصفحات مياه النهر، حملت الريشة والورق والمحبرة، لا.. لن أمكنك من قراءتي.. ولن أكشف عن كلماتي.. فحروفى تفضحني.. وتكشف عن كل علاتي.. اقترابك منى سيهدم كل صروحى الوهمية التي أتحصن بها وأختفى وراءها.. فأنا لا أملك مثلك عينين لامعتين تفيضان حبا وعشقا ودفئا.. ولا أملك قلبا ينبض على ضوء القمر، ويتهادى فوق السحاب ليستمد البقاء.. ولا تلك الابتسامة التي تحتضن الدنيا، وتفرش أمامها بساتين من الطمأنينة والسكون، أتيت فى الوقت الخطأ، ولشخص فقد كل سبل المقاومة، فلماذا الالحاح بتكرار المأساة مرة أخري.

كل ما أملكه قلب متعب مرهق، أجهدته التجارب المنكسرة وسنين الحياة الذليلة.. وليس فى صندوق ذكرياتي بطولة مشرفة، أو وردة باهتة، أو رسالة غرامية، أو لقاء لم يتم. ولا فارس أحلام.. فقد تخلصت

من بقايا الماضى بحلوه ومره، ولا أجيد فن الكلام أو الحديث، فقد تعبت من الكلام وارهقنى الحديث، وليس لى مواصفات خارقة تلفت الانتباه، أو تسترعى الاهتمام.. فأنا امرأة مهزومة فى كل المعارك الذى خاضتها، والتي لم تخضها، امرأة لم تمتطي جواداً، ولم ينتظرهل قمر فى ليالى ناعسة حالمة، ظللت العمر كله أبحث عن الوهم، وما جنيت سوى الحسرة، ليس هناك ما يستحق العناء والمحاولة.

ارتضيت فى نهايات العمر أن أنزوى فى أحد الأركان منتظرا نهاية عادية لعاشقة وهمية، بنت أحلامها على رمال أكلتها الأمواج.. وكتبت على صفحات الريح قصائد العشق المستحيل بلغة كسيحة ذليلة انقرضت مع الايام ومحت حروفها من كتب التاريخ والاساطير، يكفينى الآن تأمل ما حولى دون ابداء رأي.

لا.. لن أكشف عن حروفي.. فأنا لا أملك حروفا ولا أملك كلمات.. وكل ما داخلى طلاسم ولوغاريتمات.. فدعنى أذوب فى متاهاتي، فأنا عاشقة مهزومة أتت من أزمنة بعيدة، ويكفينى هذا الشرف العظيم الذى اوليتنى إياه ، فقدومك هو أعظم انجازات حياتي، أما أن ابوح لك وافتح خزائن أسراري، فلن يكون ابدا، لن افضح عشاقي بالكلام عنهم، فالبوح معك خيانة لهم، ولست مستعدة أن افشى اسرارهم، الحكايات ولت برحيل أصحابها، وليس من حقي أن انبش قبورهم بترديد الحكايات القديمة فهي ملك لهم، يكفيني أن سربت لك مفاتيحي ونقاط ضعفي التي استغليتها، وضغطت من خلالها علي مراكز قوتي فأنهارت واستبحتني.

ارحل عني واتركيني وحدي، لم يبق لي سوي ظلال الحكايات وعبيرها في الساعات الأخيرة، وليس من اللائق أن تنزع عني آدميتي

لتكـون سـلوي رخيصة لقضاء الوقـت، اتري حينما انـزع عنك كنزتك وافضح مسـتورك، واجعل المارة يفترسـون النظـر إليك، فهل في ذلك شهامة أو فروسية، ليست في حكاياتي عظة أو دروس، وستفقد براءتها إذا خرجـت ولوثتهـا الاذان، واروي عني حكايتي للآخرين حتي يعووا أن الوفاء لا ينقضي برحيل المعشوق، بل أنه يبدأ في السريان.

(37)

شفايف باردة

لم تكن لى رغبة فى السفر والترحال وراء وظيفة تدر راتبا يتضخم عند نهاية كل عام فى بلاد غريبة بلا اصدقاء، حيث دفء المشاعر مفقود والعلاقات مشروطة بالمصالح، لم أرغب فى تحويل حياتي إلى «حصالة» نقود، اعتدت الحياة البسيطة، وكانت مطالبى قليلة تفى الحاجة، مجرد الحاجة، أحلامى معقولة، لكنها طموحة على المدى الطويل.. حتي عندما اخترتك من بين فتيات كثيرة، كانت حساباتي مرهونة ببساطتك، ولم أغال، وإلا ما كنت اخترتك..

إلحاحك المستمر كان وراء هذه الغربة القسرية، وجاء فرمان النفى الذى وقعتيه بدموعك الكاذبة، ودفعى دون هوادة أو شفقة للرحيل.. سافرت بحثا عنك حتي لا أفقدك بعدما زادت المشاكل بيننا ووصلت لطرق مسدودة لن تفتح إلا بالسفر.. كانت طلباتك كثيرة أرهقتنى، وزادت على طاقتي، وأشعرتنى فى بعض الوقت بالضآلة، وكانت مقارناتك الدائمة بالآخرين تؤلمني.. سافرت رغما عنى بتحريض منك.. وبوداع محموم بدعوات الرجوع محملا بالصناديق المغلقة

وقائمة من «الهلاهيل» وبعض الهدايا لخالاتك وعماتك وبنات جيرانك..

حاولت أن أشرح لك عدم جدوى السفر، لأن غيابك عنى لن يعوضه المال، ولكن يبدو أن غيابى عنك كان يعوضه أى شيء.. استسلمت لرغبتك بعد أن حاصرتنى عينيك وضاعفت من آلامى واحبطت كل محاولات الرجاء والتوسل بالبقاء، كانت أحلامك جامحة لا تقبل المنطق، فأطاحت بكل سنوات العشق والذكريات الجميلة، وكانت قراراك واضح وضوح الشمس، أما السفر وأما الهجر.. عبأت كل أحاسيسى ومشاعرى وسافرت مرغما.. أحمل حقيبة يدى الصغيرة، وبعضا من الذكريات المجروحة المذبوحة على صخرة عنادك.. ولفافة من الورق تحمل خطاباتك، وكلماتك المعسولة الفارغة من أى قيمة؛ وعباراتك عن استحالة الفراق والبعاد والبكاء على جسر التنهدات..

ما أدهشنى هو سيل الدموع الذى ألقيتيه عند وداعنا، وتساءلت ساعتها إذا كان سفرى يسبب كل هذا الألم الكبير المصحوب بشلال من الدموع.. فلماذا كان الاصرار على السفر ؟ ألست الآن بين يديك، فما الداعى للبكاء إذن.. هالنى كم الدموع التي سقطت من عينيك، أكثر مما هالنى كم الحزن الذى عشش داخلى عندما ابتعدت المسافات بين ذكرياتي وأحلامك البعيدة..

مازلت أتذكر قبلتك الباردة والتي كشفت عن نوع ردئ من أحمر الشفاة.. ورددت فى نفسى هل امرأة شفتاها ملطخة بمساحيق رخيصة، يمكن أن تنطق بالصدق.

فى الغربة عانيت كثيرا وفكرت مرارا فى العودة، لكنى كنت اتراجع فى آخر لحظة، فالأمر تجاوز المفهوم الضيق للقرب أو البعد، وأصبح

امتحان صعب لاثبات قدراتي على التحمل والعذاب، ونجحت بامتياز وتحول قلبى وعقلى إلى آلة حاسبة تراقب صعود الريال وهبوط الدولار، وتاهت التفاصيل الصغيرة والجميلة، وتحولت إلى عداد يثمن أى شيء، وفى كل مرة تتوسلين لى بالعودة، كنت احسب التكلفة جيدا، وان الحضور سوف يكلفنى مبالغ طائلة، وبعد تفكير عميق أدركت أن عودتي مرة أخرى محالة، أما عن الزواج والارتباط فتكلفته هنا اقل بكثير، وارجو أن تتقبلى اعتذارى لك ولخلاتك وعماتك وبنات جيرانك.

(38)

الجوع والحب

فى زمن الشح، حيث الأشياء قليلة جدا، والندرة تجتاح أحاسيس الناس وتفيض.. وكساد العواطف ينتشر بوفرة..لا أملك سوى الكلمات الباردة وبعض من القصائد مكسورة القافية وعبارات مبحوحة نازفة يائسة.. وأنين وآهات بطول الأيام وعرضها.. فهناك أبواب مغلقة خلف حكايات حزينة وبطون فارغة، وبطالة وفقر، ورصيد كبير من الاحباطات والخيبات التي تتوالي في انتظام مستفز.. فى زمن الشح لا مكان للحب، حيث يجوب الشوارع وباء الحاجة والحرمان.. وتفتش الصبية في صناديق الزبالة عن ما يسد جوعهم، ويتراص الناس فى طوابير طويلة انتظارا لكيس من الخبز أو زجاجة لبن بلا صلاحية.

ولأنني واحدة من هؤلاء الذين يتجرعون كل صباح البؤس القادم إليهم مع اشراقات الشمس، كنت أشعر بالخجل من سماع كلمات الحب، ولم استطع أن انفصل عن واقعي المؤلم الذي يكتوي تحت شبح الفقر ونقص الاحتياجات الانسانية التي تميز الجماد عن باقي مخلوقات الله، لم يكن من اللائق عن اتكلم عن مشاعري الفياضة واحاسيسي الملتهبة بينما امعائي فارغة.

مازلت بين الناس أتجرع ما يتجرعون وأتنفس ما يتنفسون.. وأعانى ما يقاسون..فماذا تنتظر من امرأة تقف فى طوابير صامتة طلبا للاعانة.. أنا فى حاجة لبيت يؤينى من تلك الأرصفة الرطبة.. لحصيرة من خوص تفصل ما بين الطين وجسدى النحيل.. فى حاجة لكسرة خبز تسد الجوع.. أو ماء يروى الظمأ.. لحلم اتدثر به من غضبة الايام.. أو أى شئ يجعل العين تقيم النظر قليلا، لا أن تظل مكسورة.. فالحاجة كسرت داخلي كل شموخ العاشقين وكبرياء المحبين، فلم يستطع اصفرار وجهي ونحالتي أن تظهر قدر ولو ضئيلا من الاعتدال والوقوف منتصبة القامة.

عندما تتوافر هذه الأشياء أستطيع أن أحب وأعشق وأجرى وألهو.. وأسهر الليل بحثا عن قمر أرى فيه وجهك.. وحينها سوف أردد عليك كلمات دافئة وعبارات رقيقة، وأنظم فيك أيضا قصائد حسنة القوافي.. ولن يمنعنى شيء من التغزل فيك ليل نهار، وشراء هدايا بمناسبة ودون مناسبة.. أما عدا ذلك فلا تنتظر سوى كلمات البؤس والمعاناة والحسرة من امرأة فقدت شهيته للحياة والرغبة فى الاستمرار.. كان السفر ضرورة لديمومة الحياة، شفايفي ليست باردة، لو دققت النظر قليلا لاكتشفت أنها ناشفة معلولة.

الليل يطول فى عتمة احزاني.. والوحشة تفتك بي.. موشوم أنت بقلبي.. ومصلوبة أنا على أعتابك.. مشحوبة كالعشب الجاف.. أتوسل قطرات الماء.. لكن مواسمى الظمأة لا تسقط فيها الأمطار!! فى خيوط الفجر نسجت الحلم.. وتعشمت فى الدنيا خيرا.. سافرت لبلاد الأخيار وبلاد الاشرار وسائر الامصار.. وراقبت خرير الماء وصهيل

الذكـري.. حصيت اوراق الشـجر.. لكن الجوع التهـم الصبر والقدرة علي التحمل.

فى زمن الشـح لا يسـتقيم الهـوى والحاجـة.. عندما ينكسـر القلم المكلوم لا يكتب إلا المراثى وعبارات التأبين.. فى زمن الشح لا وقت للحب، فالعشـق فـي زمن الجوع كبيرة من الكبائـر التي لا تغتفر وجرم أشد من القتل. في زمن الجوع يموت الشعر وتنتحر كل قصائد الغزل.

(39)

إيمان

من قال؟.. أن نجمك بدأ يخفت، وأن بريق عينيك يمضى للزوال، وأنك فقدتي كثيرا من جاذبيتك وأنوثتك وحيويتك.. ليس صحيحا هذا محض افتراء!!.. كلما يمتد بك العمر تزدادين حلاوة، ويكتسب قوامك الصلابة والاستقامة التي تحض علي الاحترام والتقدير، ويصبح كلامك عسلا وتمرا.. الأيام تظهر مفاتنك المخبأة وراء خجلك الأنثوي الرفيع الراقي، كما أنها تفصح عن معدنك الأصيل، أن نجمك بدأ يتلألأ أكثر وأكثر حتي راح يغشي العيون الناظرة إليه، فعندما يلمع يظن الناس انه النجوم دون مبالغة، مازلت كما أنتي مهرة عفية تجمح فى مضمار قلبى وتقفز حواجز احباطاتي، تسبق الريح وتخطف من فوق سطح القمر زهرة الحياة والخلود.. من قال أنك امرأة عادية تتأثر بعوامل الزمن ومرور الوقت.. ونشرات الأرصاد الجوية.. أنت امرأة خارج التوقعات والاحتمالات.. تملكين دائما السحر الذي يجعلك في الصفوف الأولي، والكاريزما الطبيعية التي تؤسر القلوب وتطيح بالافئدة، لفتاتك، نظراتك، همساتك، اجاباتك البسيطة للاسئلة

المستحيلة والغامضة التي يحتار الناس في أمرها. كلها هذه الأشياء تجعلك مرصودة بتلك النظرات الشريرة التي تحاول أن تعاقبك علي ذنب لم تقترفه يداك.

أن الحاسدين الحاقدين يفزعهم كثيرا أن يروا نضارتك وبشاشتك ورشاقتك، يحاولون التشكيك فيما تملكيه، يهولهم ما أنت فيه، فهم يعجزون حتي من الاقتراب أو اللمس أو التصوير، يتخيلون أن كلماتهم الصفراء سوف تنال منك وتضعف عزيمتك، ولا يدرون كم انت مصانة وممنوعة حتي من التداول أو التشويش.. لديك جهاز وقائي يمنع عنك السوء والبغضاء، ويهديك للطرق السهلة الرحبة.

يؤلمهم كثيرا عفويتك وتلقائيتك، فعندما تبدين يتلاشون ويختفون كالبخار، ويصير وجودهم كأن لم يكن، لذا يتوهمون عبثا أنهم قد ينجحون فى اختراق حصونك المنيعة وابراجك الشاهقة، ليفسحوا المجال لهم ولو بعض من الوقت، فمن الظلم يا حبيبتي أن تملكي البر والبحر، ولا تتركي لهم غير الاماكن المهجورة، والكلمات الباردة والاحاسيس المستهلكة التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

أرى أنك تتحملين جزءا كبيرا من هذا العبث الدائر حولك، لأنك تفرطين فى الحلاوة وتغالين في البساطة والقناعة، وهذا ما يجعل الآخرين متربصين لك، متسنحين فرصة للانقضاض عليك، حتي يستطيعوا أن يزاولوا حياتهم، فوجودك علي سطح الأرض يمنع ايصال الهواء لرئاتهم فيموتون خنقا بسبب نقص الاكسجين التي تستولين عليه بالكامل والذي يهرول إليك رغبة منه في الحياة.

أنت امرأة ليس لها تاريخ صلاحية.. أو قطع غيار، أنت امرأة صالحة لكل زمان ومكان، غير تابعة لقوافل الحريم أو خاضعة لقوانين الزمن الجائرة.. وغير معنية بقوائم شهريار الباطشة.. فأنت خارج الاطار التقليدى لحدود التفكير. ليس صحيحا ما يقال، أنها تأوهات المعذبات الباحثات عن أمل يحقق لهن قدر ولو يسيرا من التواصل مع الآخرين، وماذا يضر الشمس من صرخات المتجمدين؟!!

(40)

لا جدوى.. لا عنوان

بحثت عنك فى كل مكان وزمان.. لا جدوى لا عنوان.. وتعقبت خطواتك.. أنفاسك.. كلماتك.. همساتك.. وتلصصت على الجدران.. وصرخت فى الريح وفى العتمة وفى النور.. وضربت الودع وفعلت السحر.. وتمنيت أن تأتي فى ليلة عيد بعد طول غياب.. لكن العمر يمر دون بشارة!! طال الوقت وطال غيابك.. ويئست من كل الأشياء.. وفقدت الثقة وفقدت الصبر..

سافرت بعيدا بعيدا حيث بلاد العشق والترحال.. وسألت حبات الرمل وأوراق الشجر ورذاذ المطر.. والريح العاتية العاصفة.. لم أخش شيئا.. عبرت بحور الدنيا وغصت فى الأعماق.. وسألت اللؤلؤ والأصداف عن طيفك عن اسمك عن رسمك عن ظلك.. لا جدوى لا عنوان.. ورجعت حزينا مهموما تثقل كاهلى الأحزان.. تتراكم على صدرى جبال الملح.. اشفقت على حالى من عمرى الضائع.. الليل يطول.. والبرد يجر صقيعه، لا ملجأ لى.. اتجمد من شدة وهني.. لا

قمر يأتي ولا يبدو فى الأفق.. والنجم القابع يتحسر.. يتأوى.. ورأيته كثيرا يبكي..

اعتصر قلبى حزنا.. أكلتنى الوحدة والسقم والهذيان، وتمنيت فى لحظات اليأس الموت.. تمنيت الذوبان..لكن قدرى أن أحيا طيلة عمرى ابحث عنك.. فى الطرقات الوعرة أتحسس دربى.. أتلمس آخر بقاياي.. تمضى الأيام السوداء وئيدة بطيئة، ينفطر القلب المحموم بركانا.. تدمى العين الساهرة بالحرمان، يأتي الصبح شريدا مطرودا لا يحمل أى ملامح طفولية.. ما بين الأبيض والأسود تتراكم ألوان الطيف.. ولا جدوى ولا عنوان..

عسعست فى كل الطرق بحثا عنك.. وذهبت للعرافين والدجالين.. وهذيت بالكلمات الماجنة.. ترحلت الدنيا..ومشيت على الأقدام وعلى الأشواك.. وعلى جمرات أسئلتي المخنوقة.. المعلولة.. المسئومة.. فتشت عنك فى كتب الشعر والتراث والجغرافيا.. فتاريخ العشاق يبدأ عند اطراف انامك وينتهى عند خصلات شعرك.. لم يأت جواب يشفى غليلي.. ويزيح جبال الصبر من صدري..

سألت الناس عنك فى كل مكان وزمان..فى البحر والبر والمحيطات.. وعندما سألونى عن وصفك.. عن رسمك.. عن اسمك.. تلعثمت الكلمات..وتاهت اللغة الكسيحة.. فماذا أقول لهم، وأنا لا أعرف شيئا عنك.. انقطعت أخبارك.. وانقطع معها خط العمر.. وخط العودة.. أرهقنى التفكير وتمكنت الحيرة مني.. من أى عصر أتيت؟ ولماذا أتيت؟ مازلت أبحث عنك فى كل عصور التاريخ..

فـى صفير الريـح.. فى هدير الأمـواج.. وفى زقزقة العصفـور.. ودعاء الكروان.. فى كل عين باسمة تتأمل غداً جميلاً..

تضيق المسافات القاتلة.. ويختنق معها الأمل.. اتفحص رسائلك.. أقرأهـا مرات ومـرات.. ليس لدى شـيء غيرهـا.. احـاور الكلمات.. احدثهـا.. ارهقها.. اسـتفزها.. ابعثرهـا.. أحيانا أتوسـل إليها وأبكي.. دون جدوي..

مجنون من يعشق فى النور ضياءه.. وفى موجات البرق صرخاتها.. مجنون من يعشق شيئا لا يراه.. انقطع الحلم.. وانقطعت اخبارك..

(41)

الأربعاء الأخير

لم يكن رحيلك مفاجأة.. كل شيء كان محددا باليوم والساعة.. ولقاء الأربعاء الأخير الذي تبادلنا فيه الكلمات القصيرة والنظرات الخاطفة كان ايذانا بالوداع وبداية رحلة جديدة من الشقاء والحرمان، وبعدما استنفذ المكان آخر طيف لرائحتك، وفرغ مخزون الشجاعة والتحمل داخلي، بدأت نوبات الترنح وانعدام الوزن تجتاحني مرة أخري، قاومت كثيرا وحاولت أن اعبث في اشياء تلهيني عما أفكر به، فكلمات البطولة والفروسية التي رددتها عليك ما كان يجب أن اتراجع عن كلمة واحدة منها خصوصا أنني بالغت كثيرا في اظهار نفسي بالخارق الذي يضحي من أجل عشقه الابدي، ولم يكن يرضيني بأي حال أن أجعلك أمرأة احتياطية لنزواتي وشهواتي، فأنت ارقي من ذلك بكثير. فمنك تعلمت كيف احافظ علي كبريائي ووعودي.

اعتبرت أن ابتلاعي الصبار والوحشة دين في عنقي يجب الالتزام به ليس كنوع من رد الجميل والعرفان بما قدمتيه خلال رحلتنا، فهو اكثر من قدراتي وامكاناتي، ولكني شعرت بأنه آن الأوان أن اقدم شيئا مقابل

كل هـذه التضحيات التي نعمت بها وتمتعـت في رحابها، خصوصا ان النهاية محتومة لا رجعة فيها ولا تغيير، فلما لا أظهر بالشـكل المشرف الذي يمنحني وسـام الشـهامة وتكون ايضـا مكافأة نهاية عشـق لأمرأة منحتني الحياة والسعادة دون مقابل، ولم تجن من ذلك سوي الشقاء.

كانـت هنـاك عبارات لـم يمهلني الوقـت لكي أقولهـا.. وحكايات كثيرة لم ارويها.. لم يكن الوقت كافيا، ومر سريعا جدا.. ارجو ألا تفهم كلماتـي بأنها محاولة للتراجع عن كل الوعود التي قطعتها علي نفسـي والتزمت بها، للأسـف حتي التراجع لا املك منه شـيئا، واصبح قدري أن امشـي طريقي وحدي علي الأشواك وحيدا، وانا اجتر من الذكريات ما يسد رمقي ويشبع جوعي ويروي ظمأي، لم يبقي لي سوى التضحية مرغمـا ومجبـرا عليهـا، حتي البطولة مسـاق إليهـا ولم تكـن اختياري ولم أسـعي إليها يوما حتي في لحظات الغيبوبة التي اتسـمت بالخصام والعتاب، نعم قررت الموت بالبعد عنك، ولكني كنت اطمع في بعض من الوقت كي املي عيني منك حتي لا تأسـرني الوحشـة، دقائق بسيطة بماذا كانت ستضر.

كان الرحيـل نهايـة لطيفة لحبنـا الجميل، لكنها لـم ترضيني، انتهي وقت التوسـلات ورفعت كل المظالم، فدعيني أرقص رقصتي الأخيرة وأن أهذي بكلمات لا طائل منها، اطفئت الرياح كل شـموعي وأغلقت نوافـذ الرحمة في وجهي، واشـتاق ليلي لطلتك التـي كانت تمنح قمره الضياء والبهجة.

لـم يعد لي الآن سـوي الابحار فـي قلب الايام الفائتة ربما اسـتطيع اشـتمام رائحتهـا او العـزف علـي أوتارهـا المقطوعة، ورغـم المعاناة

التي اعانيها في استدعاء المواقف الحلوة التي تستعصي عليّ وكأنها تجاملني رغم عني في الاحتفاظ بحفظ ماء الوجه علي وعود أصبحت مع الوقت قضبان حديدية تضيق عليّ وتدفعني دفعا إلي الهاوية، ولكني سأحاول أن أكون جديرا بهذه النهاية التي أري انها راقت لك رغم ما اعانيه، فقد علمني حبك الالتزام والتضحية حتي ولو أدي ذلك إلي انتحابي حزنا عليك.. سأموت عليك قربان إليك، ويكفيني نظرة الرضا في المشهد الأخير.

(42)

ثورة العصيان

ليست من طباعى المغامرة، لازمنى الخوف ولازمته سنين طويلة وصرنا رفيقين في درب الحياة، لم يبرح عنى يوما، ولم اتركه لحظة.. تربيت على الطاعة، وتنفيذ الأوامر كما تلقي علي دون نقاش أو حتي ابداء علامات الرضا والتذمر، ولم يجنح تفكيرى يمينا أو يسارا.. بل أني لم اسعي يوما للتفكير، كنت تقليدية فى زمن التغيير.. ساكنة فى وقت كل شيء فيه يتحرك.. متجهمة وعابسة والوشوش حولى تملؤها الابتسامة والأمل.. أمنت بكل الحكم الوسطية.. والحلول التي ترضي جميع الأطراف، وتجنبت تغيير عاداتي وطقوسي التي تربيت عليها.

أشياء كثيرة سقطت منى وذهبت نتيجة التردد والخوف من المجهول، كنت دائما أخشى المواجهة، أو التعبير عن مشاعرى وكأنى لم أتعلم بعد الكلام.. فلم أكن من عشاق المقامرة، ولم يكن لدي ما اقامر به.. حيث كان الرهان يعنى لى مصادفة الفرص الطائرة..تأتي أو لا تأتي.. لكنها تظل أملا تأرجحه الرياح، وكنت اعزي نفسي وقلة حيلتي بأن طريقتي هي الأسلم لتجنب المشاكل والتي للاسف لم تبرح عني، بل كانت تزداد نتيجة لخمولي وتقوقعي.

وصادفني عشقك ورغم أنني رأيت الدنيا في نن عينيك بصورة أخري غير تلك التي اعتدتها، وعندما حاصرتني عيونك، وأصدرت لي الأوامر بالعشق رضخت وامتثلت لقراراتها، ووقعت علي صك انقيادي إليك، فقد تربيت كما قلت علي الطاعة وتنفيذ الاوامر التي تصدر إلي، وأخلصت قدر استطاعتي، ووصلت لقناعة، بأن أقداري ساقتك إلي لتنشلني من غياهب أوهامي الي حياة ارحب، وتفانيت في الحب، واحترمت مشاعري تجاهك لأنها وهبت لي السعادة، وفي المقابل لم أرضخ لأى إغراءات، ولم أبع أشعارى على أرصفة العاشقين، بل كنت حريصة على تخزينها لألقيها عليك، وتعافيت مع الوقت من أمراضي المزمنة، وتخليت عن مسك العصا من منتصفها.. ومحت سنين الحرمان من قلبى وتلاشت تلك الخطوط الوهمية التي اثقلت من خطواته، وضيقت المسافات بينه وبين الحلم والتمني.. فصرت أسيرة لك منصاعةً لكل أوامرك دون مناقشة.. ولم أتجرأ يوما علي البوح بابداء اعتراض من اي تصرف لا يلقي قبول عندي.

أفسحت عيناك الطريق، جرأتنى وأعطتنى الثقة.. كنت عندما أنظر إليها اشعر بمدى احتوائها وصدقها وحنوها.. جذبتنى إليها بقوة مرددة : لا تقلقي.. اقتحمينى وأقتربي مني.. فلن تجدي غير عينى لتدفء أيام شتائك.. ولن تجدي قلبا يحتوى كل إحباطاتك وآلامك سوى قلبي.

نعم.. حرضتنى عيناك على الثورة، ومع الوقت صار العصيان طريقة حياة، أدمنته ولازمته ولازمني وصرنا رفيقين، لم يبرح عنى يوما، ولم اتركه لحظة.. ولأنني أتعلم الدروس جيدا وأخلص لعاداتي، فأن العصيان التي ألقيت ببذوره في أرضي البور يحرضني عليك، ويستفزني كي اثور عليك وعلي حبك الذي قيدني وقوقعني، فأعذرني

لـم أعد اطيق الاسـتمرار، بعدما اصبح العصيان والتمـرد عادة يومية لا اسـتطيع التخلي عنهـا، كما أنني امرأة تعشـق المغامـرة والتجديد، ولا أرضـي أن أكـون منقادة لأي رجـل وحتي ولو كان من وهبني السـعادة وعلمنـي كيف أعيـش الحياة، ويكفينـي أنني حاولـت أن ارضيك وأن البـي جميـع رغباتك التي جهرت بها وأخري كنـت تنتويها، وأخلصت لك، فأجعلني أثور عليك للمرة الاولي والآخيرة.

(43)

عبودية

هل تأذنين لى بالرحيل، بالسفر بعيدا عن تلك البلاد التي تتنسمين من هوائها، وتشربين من مياهها، دعينى ألملم أشيائى، فلم يعد لى عيش هنا.. هل تأذنين لى بالتوبة من الكفر والألحاد، والرجوع إلى نواميسى القديمة، سئتمت عباداتك العلنية وسط الزحام والضجيج وأصوات الباعة الجائلين في الأسواق العامة، وصراخك المستمر عندما ترغبين في شيء، أنتهت عصور الرق بلا رجعة، فلما الاحتفاظ بي. لكل شيء نهاية، فمتي ستكون نهايتي من قبضة ايامك المتوغلة في أحشائي. فكي حصاري واطلقي سراحي، وأعدك أنني لن أعود مرة أخري، واذا استبد بي الشوق للعبودية مرة أخري، فأفعلي معي ما يحلو لك.

لم يكن حبا.. كان حصارا محكما، وصك اذلال يتعقبنى أينما أذهب، يرصدنى فى الذهاب والعودة، يفتش داخل رأسى عن أفكار جديدة أو هواجس فى الطريق ليعتقلها، كنت أبحث عن امرأة تؤوينى، أو أن شئت تخبئنى داخل احشائها وفى موقع متميز من قلبها، تبتلعنى إذا تنفست، امرأة لا تطلب شيئا، ولا أطالبها بشيء.. امرأة عندما تزغرد

تمطر السماء، وعندما تضحك تتفتح الزهور، كنت أبحث عن معجزة في زمن الجوارى والحافيات..

امرأة لا تتعجل الأحضان، وتمهلنى فرصة كى أفحص تفاصيل وجهها.. حتي إذا ما أوصدت المصباح، أكون قد حفظت ملامحها. لم أكن أبدا أسعى لجارية، فمهنة النخاسة لا تناسبنى ولا أجيد تصريف أمورها.. اعتزلت الخطيئة وأغلقت كل ملفات الإباحة.. فإلى متي سأنتظر الأميرة العائدة من بلاد الجحيم؟

كان الجنون من أحب الأشياء إلى قلبى، السباحة ضد التيار، والسر في المناطق الوعرة التي لم تطأها قدم من قبل، ففي المغامرة فوائد كثيرة ومخاطر قليلة، سعيت أن أشطر عقلك نصفين، حتي يخرج المنطق من قاموس علاقتنا ومفرداتنا، سئمت القواعد الصارمة والمنتقاة بعناية، كنت أسعى إلى فوضى منظمة بشروط خاصة نضعها معا، انفرط العقد من بين أيدينا وتبعثرت حباته يمينا ويسارا، فلم نبلغ الحكمة، ولم يجنبنا الهذيان.

لم تبهرنى قبضان السجن الذهبية، فالسجن حدود تضيق مساحات الخيال وتلجم الطموح، فقد سئمت السوار وادمت القيود معصمى، ولست فى حاجة لمجد معلق على الجدار أو قصيدة منظومة تلقى فى يوم تأبينى، أريد أن أهنأ بلحظتي حتي ولو كانت الأخيرة.. فلم يعد فى العمر ما يجعلني أقذف به في بحر سحيق.

لم يكن حبا، كان نعاسا طويلا، توالت عليه الكوابيس والأحلام المزعجة، وآن لى الآن بعد هذا العناء الطويل، أن أريح الجسد ولو حتي قليلا.. فأذنى بالرحيل وأعطنى تصريح مرور بلا عودة، فالأرض لم تعد أرضى، من حقى الرحيل، وألا سأضطر مجبرا للهروب دون

وداع.. هذا ليس عشقا، فقرارات الاعتقال والاقامة الجبرية تفسد العلاقة بين الحاكم والمحكوم، أعطي أوامرك للسجان أن يفتح باب الزنزانة، قضيت عقوبتي بالكامل دون زيارة واحدة، او فسحة من الوقت اتجول فيها خارج جدران محبسي، اشتقت للشمس والهواء والناس، وسئمت من عشقك وسطوتك وقيودك.

(44)

تأشيرة سفر

تريد الرحيل.. أرجوك ارحل بسرعة، انتظرت هذا القرار منذ زمنا بعيد، ولا تبطأ الخطي، هرول، طير، انطلق، تصحبك السلامة والندامة، غير مأسوف علي عشرتك، وسأبذل قصاري جهري في انهاء اجراءات سفرك واستخراج تأشيرة مفتوحة للذهاب إلي أي بلد في العالم، ويمكنك اصطحاب ما شئت من حقائب ومتاع وأثاث، ولا تخشي من رجال الجمارك فلديهم أوامر عليا بتذليل كل العقبات، ستفتح لك صالة كبار الزوار مع وداع رسمي يليق بك، يتضمن فرق موسيقية تعزف كل الاناشيد الوطنية لجميع قارات العالم، وأكثر من مائة طفل ووطفلة يحملون الزهور والقلل، تذكرتك «فرست كلاس» ذهاب بلا عودة.

أما عن توبتك عن الالحاد والكفر فلا تقلق، أبواب السماء مفتوحة لا تنتظر اذن من أحد، لكن عليك أن تتطهر أولا حتي تقبل توبتك، لقد عتقتك ووقعت صك تحريرك، فأنت الآن حر ابن حرة، يمكنك التجوال دون ابراز هوية عبوديتك. وسأتولي دفع كل التكاليف، حتي الديون المتعلقة لا تبتأس بشأنها، كل شيء سيكون علي ما يرام.

لقد ساهمت سذاجتي فى إطالة أمد العلاقة بيننا، ولم يستوعب تفكيرى الضحل إشارات كثيرة كانت واضحة وضوح الشمس، لكن سكرة الحب أعمت بصيرتي وأفقدتنى التركيز. لا أعفى نفسى من مسئوليتها عما حدث، يمكنك الآن أن تسير في الاماكن المستوية، وأن تسبح مع التيار ربما يقذف بك في شلالات ما وراء البحار، لا جبران عليك ولا قيود، انعم بالحياة فأنت أهلا لها.

من الانصاف أن تنال ما نلته من عذاب وحيرة.. فلا تنتظر منى أن أكون موضوعية.. سوف أتجاوز كل حدود اللياقة، وسوف أهيل التراب عليك واسحقك سحقا.. وسأحرص أن تظل أسرارك مصانة، فهى ملكك، ولن أجرؤ على الخوض فيها مهما حدث.. لست مجنونة حتي افشي أسرارك لأنها في نهاية الأمر تجعلني اضحوكة وساذجة متخلفة.. يتردد صدى الأكاذيب الكثيرة التي تجرعتها من عينيك.. أتذكر ذلك وألوم نفسي.. وأحيانا أعذبها.. وأحملها ما آلت إليه.. أعذب نفسى بنفسى واصدر عليها الاحكام القاسية وأعانى مرتين.. مرة عندما أطلق سياطى وأخرى عندما تؤلمني.. كنت أعلم أن النهاية سوف تكون مأساوية.. اعتقدت انه بامكاني أن اكتب النهايات السعيدة، واجعل من نفسى منتصرة رغما عنك.. فما اتعسها واقبحها نهاية.

مازالت الأشياء تتراقص من حولى.. تتمايل وتترنح.. وتبدو للناظر إليها رقصات هيستيرية ، ولم تكن كذلك، فدائما ما كانت تبعث فى احساسا طفوليا جميلا حرمتنى منه أنانيتك.. لم اخسر كثيرا.. خسرتك، وانت لا تساوي شيئا.. لن أخدعك كثيرا، واستخدم كلامات لا طائل منها سوى التمويه والبعد عن الحقيقة، أنها نزوة حاولت التخلص بها منك حتي لا تجثم على صدرى.

اخترت نهايتك بيدك وبارادتك وبكامل حريتك، فأنعم بالنعيم الذي ينتظرك، ولا تفكر في العودة مرة أخري، فقد شطبت ايامك من تاريخ حياتي، ومحتوت اسمك من كشوف الاحياء والأموات، ولو فكرت في العودة مرة أخري فلن تجد اسمك مدون في ورقة رسمية، فأنت شيئا كأنه لم يكن، ليس له وجود ولا عنوان، وسأحرص أن يكون في وداعك لافتة كبيرة مكتوب عليها «في ستين داهية».

(45)

رياح الربيع

هل استطيع القيام بانقلاب في حياتي، بعد هذا النفي الذي أعيشه في بلادك البعيدة، مأساتي الكبري أن أيامى التي أعيشها موصولة بك وممتدة نحوك، وساعية إلى كل ما يقربها منك، فكيف يكون الخلاص؟ أي محاولة عصيان ستقابل بثورة عارمة من مشاعرى، ولم أفلح في ترويضها كي تعتاد حياة جديدة ليست أنت محور دورانها، أظن أنها ستكون مملة وبطيئة وباردة كألواح الثلج.

أيامى معك، استيلاء واستعمار واحتكار لمشاعرى وجوانحى، فكيف أتخلص من تلك العادات القديمة، وأنا إنسان بنصف إرادة وبلا عقل، ولا أريد تغيير عاداتي اليومية التي ترضيني.. عز على الفراق وعزت على نفسى التي حرمت منك ليالى طويلة، فكم عانيت وشقيت من وحدتي ومن اتهامات باطلة، اساءت لك قبل ان تسئ لى، فما طالت ايادينا شيئا سوى اللوعة والحرمان. ولأن القرب منك عذاب والبعد عذاب سأظل متأرجحا بين انصاف الاشياء ، اعشقك وانا مجبر ولا حيلة لى فى نفسى، وامقت غيابك بحسرة من فقد الامل فى لقاء

عابر فى شارع مزدحم. وعندما تسمحين لي بالعشق يبدأ تقويمي.. وتتلون الحياة بالوانها الزاهية..

آن لى الان ان امسك القلم من جديد لأكتب حكاياتي التائهة بعدما ظلت تبحث عن مفردات فى غربتي الاضطرارية، والتي فرضت قسرا وظلما وحجمت من انطلاقاتي.. الان فقط.. استطيع ان استنشق الهواء وان الون اشيائى التي كساها الحزن والسكون والصمت دهرا طويلا.. يحق لى ان افتح نوافذى المغلقة، وان انفض التراب عن قلبى المتعب الذى ظل حبيس عنادك وقسوتك، جاء قرار العفو وسمحتي لى بالتجول مرة أخرى دون خوف أو رهبة داخل ايامك وساعاتك.. يمكننى الآن عبور تلك الطرق التي كنت اتحاشى المرور فيها.

تعودت ان تكون البدايات منك، وان تكون ايضا النهايات منك وانا فى منتصف الاشياء ارضى بما تلقيه الى دون اعتراض او رفض، فهل املك غير المثول، تمضى الايام كيفما تريدين وبالطريقة التي تناسبك وامتثل انا مرغما على ممارسة الحياة من خلالك دون اعتراض، حتي الثورة والعصيان والتمرد اشياء لا املكها ومن العجيب اننى ارتضيها دون مقاومة وبانصياع شديد يثير الشفقة.. تتقطرين على بالكلمات الناشفة القليلة وتبخلين فى العواطف، ورغم كل ذلك اعلن بكامل ارادتي بان الحياة عادت الى مرة اخرى من خلال عفوك الذى اتي متأخرا جدا لكنه روى ظمأى وضمد جراحى الملتاعة..

لم يكن تليفونك الصباحى هو فقط إشراقتي التي يبدأ بها يومى، بل كان جهاز تنفس صناعيا لمريض يختنق وصارت حالته حرجة، وكان ليلى فرصة لاستأنس بأحلام لم يفارقنى فيها وجهك، و يمتد النهار من

ابتسـامتك الصافية، أو نظرة عتاب حانية، أو بعض الكلمات التي تتقطر منها الطمأنينة والحنان.

لم أحتمل رذاذ المطر المعبأ من شفتيك.. ولا القرنفل الذى اطلقته عينـاك فـى قلبي.. أنهـا منتهى القسـوة، أن تختصـر كل أيامى فى جمل تحمـل الريحان والياسـمين وتفتـرش الطريق الذى ظننته أنـه بدا وعرا ومتعثراً..

(46)

خـيـــوط

مـا أحوجنى إليك، ما أصعب أمسـي.. كانـت حاجتي فى الجلوس معـك آخـر امنياتـي.. وعندمـا هممت بالذهاب احسسـت بالانكسـار والضياع، وتمنيت أن تبقى أبد الدهر.. ورددت بين نفسي. الآن سيحل الظـلام على يومـى، وترحل الكلمـات، ويغيب الـدفء.. عند ذهابك يتبـدل الهـواء والوشـوش.. وتصير الحيـاة مملـة ومفزعـة.. بالأمس ارتفعت الجدران أمام عينى وحجبت الرؤية، وغدت السـاعات سـنين وأيامـا.. ومـا عزانى فيها سـوى الغد بـكل ما يحمله من بشـارة وفرحة للقائك.. هكذا يا ملهمى أصبحت فى حالة انتظار دائمة، لا تهدأ.

كنت فى حاجة كى اشـكى لكي همومى، ويأسـى، بالأمس اشـتقت إليـك وأنـت أمامى، وحاولت قدر إمكانى أن أرسـل لـك نظراتي علها تفصـح عـن شـيء، آه مكتومة داخـل صدرى حاولـت أن تنفـذ إليك، وشـعور بالحرمان منك كان يرغب فى العبور، لكنى لاحظت أكثر مما أعانيه فى نظرات عينيك، ما أهون لحظات التوسل والرجاء.

حسـبت أن عينى الزائغة التائهة الضائعة سـوف تترجم لكى معاناتي مـن رحيلـك، حاولت أن اسـتنجد بك من وحشـة اللحظـات.. لكنك

ذهبت. توسلت فى صمت ألا تمضي.. أن تبقى بعض الوقت.. مازلت أتارجح بين رنين كلماتك العذبة التي ألقيتها على مسامعى وأوقظت مشاعرى المستكينة.. كيف ضفرت كلماتك فى حروفى، وأى قدرة تلك التي تتمتع بها، علمنى كيف أعبر عن نفسى، علمنى عندما تمضى لا اشتاق إليك.. فإن اشتياقى يعذبنى ويفتت بي.. علمنى ألا أحبك.. فحبك هو نهايتي المحتومة..

كانت لكلماتك وقع السحر عليّ.. أفقدتنى توازنى المستعار، وتقوقعت داخل نفسى أتأمل ما حدث، أنها الثورة الكبرى التي لا يقف أمامها شيئا.. تتراقص حروفك فى قلبى وتتمايل وتحدث الصخب والضوضاء، حتي لا يسمعها الآخرون، فيتلصصون عليها ويتعقبون صداها، ويعرفون حكايتي ويرمقوننى بنظرات الحسد والغيرة.. كل هذا الحب وحدك.. كل هذا الحب وحدك!!

أين كان كل هذا الحب؟ ولماذا آثرت الصمت؟ كيف احتمل قلبك كل هذه الأحاسيس والمشاعر؟ أحيانا أسأل نفسى، كيف كنت تعيش وتلك الجبال من الكلمات على صدرك؟ رفقا بي.. وحاول أن تكون رحيما بهذا القلب الضعيف الذي أنهكه الترحال.

تسلل حبك فى عتمة أيامى فأضاءها، وبسط فى دربى المعتم شعاعا من نور، وحكايات من الأمل والتحدي.. تسرب داخل نفقى المظلم، وزرع زهوره البنفسجية، وازاح التراب ورتب الأشياء، وأعاد الكلمات الحلوة فى زمن المرارة تنطلق من جديد، وترسم البهجة على الشفاة.. تجسس حبك على، وتتلصص وتلمس خطواتي الزائغة الباحثة عن مرفأ..تعقبنى إينما ذهبت.. تربص بى وأوقعنى فى مصيدة عينيك، ورقة أحاسيسك.. استولى على بعد أن أقتحم وحدتي وأبوابى

المغلقة، ازاح الستائر السوداء وبدلها بأخرى بيضاء حريرية فضفاضة.. فرض حصاره.. وأغلق كل منافذ الهروب، انتشر داخلى دون استئذان وفرض الوصاية رغم عني.. أعاد تشكيل سريان الدم فى العروق.. ونظم ضربات القلب البطيئة، وجعلها تهرول.. ترقص داخل الأساطير، لا تخشى العواصف أو الأعاصير.. أعاد تكوينى وفق مواقيته وطقوسه وعاداته..

(47)

السـقـوط

مازال وجهك المريمى الطفولى والذى يحمل دفء وطمأنينة الدنيا يواجهنى بين الحين والآخر يزيح العراقيل التي تتصدى خطواتي وتحد مـن حركتهـا وانطلاقها، ولكني أقـاوم حتي الرمق الأخيـر من عمري، فهـل تسـتحق الحياة شـيئا دونك، تتزاحم المشـاكل بشـكل سـرطانى وتتوالـي الأحزان يمينا وشـمالا لذا يأتي اللجوء إليك ضرورة إنسـانية لمواصلـة الحياة، فلا تلومينني على كل هذا العشـق الذى اسـتوطننى، فلا أملك حيلة فيه، ولا اسـعى للتخلص منه، لأن ذلك يعنى فى النهاية التخلص من ذاتي.

حاولـت.. نعم حاولت بعزيمة متهالكـة وقلب يتأرجح بين أنصاف الأشـياء.. وعين زائغـة تبحث عن صورتك فى الجريـدة الصباحية، أن أكـون موضوعيـا، وأن أتحلى ببعض من الرزانـة والعقل والصبر، حتي أننـى حاولـت أن افتش عـن عيوب أطلق عليها سـهام غضبـى وحنقى ومفردات التهكم والمبالغـة.. وأحيانا كنت اختلق بعضها، لكى تصبح

صورتك الجميلة المشرقة باهتة.. فأغض النظر عنك.. وأبحث عن لعبة أخرى ألهو بها..

خشيت نظرات الآخرين واتهاماتهم لي بأنني أمارس المراهقة معك، وأنني أغرر بك واستبيح براءتك مقتحما أيامك الهادئة بضجيج الحب، مستغلا قلة خبراتك وتجاربك، لكني - عفوا- أشعر أنك تبادليني احساسا بالرضا والقبول، وأظن أنني أنعم ببعض الخصوصية والاهتمام من دون الجميع، يمكنك مصارحتي بحقيقة شعورك ولن أغضب منك ابدا، إذا كان ردك بالرفض، فيكفيني شعوري تجاهك، وحرصك الدائم علي ارضائي، يمكنك الاختيار دون ضغط.

مع كل محاولة فاشلة للبوح، كان يزداد تعلقي بك.. وكنت أفقد بعضا من مقاومتي ورباطة جأشي.. وتزيد حالتي سوء عما هي عليه، أقصد ازداد عشقا لكي، حتي أصبح خيالك يملأ المكان ويشيع في نفسي شعور بالانقياد والتبعية والنشوة..

أدركت أخيرا أنني لا أجيد شيئاً سوى أن أعشقك.. فعشقك أصبح مهنتي التي أقتات منها نسيم عمري.. فكل الأشياء تبدأ وتنتهي دائما وأبدا عند محطات عيونك ونواصي شفتيك.. وعندما أحاول أن اسبح في خيالاتي أجد نفسي غارقا في ضفائر شعرك، مربوطا بها..

ذهبت بعيدا بعيدا.. تاركا ورائي أحلاما لم تنته ولم تكتمل.. وحينما وصلت إلى شاطئي المتعب ، لاطمتني أمواج حبك بكل قسوة.. حاولت أن أغوص فيها.. أتأملها.. أتفحصها، أو حتي أروضها.. ربما أفوق من سكرتي.. من خيبتي.. من عشقك الذي يسري في دمي..

لكن باءت محاولاتي بالفشل، فمعك لا أستطيع إلا أن أنقاد وراءك فى حضرة عيونك وفى حاشية ظلك.. فلا تنتظرين منى المستحيل.

سأظل أحبك رغم عني، فلم أجيد شيئا في حياتي سوي ذلك، ولم أتعلم من حروف اللغة غير كلمة أحبك، فأمرأة مثلك بكل ما تحمله من سحر وتوهج وطيبة وعفة يكون الموت في حضرتها هو أعلي درجات التمني، وعليك أن تلومي نفسك وتعاقبيها لأنها حملت تلك الصفات الجميلة التي لا تتوافر إلا في القديسات، لذلك أعدك أن أظل في محرابك حتي لحظات النهاية.

(48)

الصعود

سألت نفسي وأنا أقرأ عناقيد الفل التي أرسلتيها، هل هذا حفل تأبيني، هل تلك الكلمات هي آخر الكلمات التي ستكتب في دفتري الأخير.. أم أنها سكرات الموت وغفوة الرحيل، أعيد القراءة مرات ومرات، وفي كل مرة أشعر بقسوتك.. نعم قسوة.. ليس في استطاعتي تحمل كل هذا العشق.. كل هذا الدفء، إن كلماتك أقوى من قدرتي وأبجديتي ولغتي.. كان أولى بك أن تجرعني تلك الكلمات حرفا حرفا، حتي أستعيد توزاني، أنها طريقة عبقرية للخلاص مني.. كنت أخشى الموت بعيدا عن احتوائك، وتمنيت أن تستزاد عيني بنظرة وداع أخيرة، ولكني الآن ألفظ أنفاسي الأخيرة وأنا بين يديك وأشعر بأنفاسك تلفني وتعيد تكويني من جديد.. ربما تكون طريقة جديدة للموت اللذيذ.

هل أخطأت الحروف المقصد؟ وكان لها طرق أخرى غير تلك التي عبرت فوق جسدي.. احتاج بعض من الوقت حتي استعيد نفسي.. أحتاج قراءة تاريخ حياتي مرة أخري.. هل استحق كل هذا... أصبحت الآن أكثر خوفا ورهبة منك.. أشعر بأنني أتعلم أول درس في الحب،

وكثيرا ما كنت أردد على الملأ بأننى قادر على تحريك مشاعر الآخرين واللهو بها.. كنت أزعم بأننى وأننى وأنني.. والآن تتساقط أوراق خريفى مع أول إهلالة ربيع.

رفقا بقلبي.. يكفينى من الدنيا تلك الكلمات التي أعادت تكوين أشعة شمس حياتي، ومنحتنى أول بطولة حقيقية، فى مسيرة كنت أعتقد أنها مليئة بالبطولات والانتصارات.. أصارحك بأننى لن أستطيع أن أخرج من جلدي.. فمازلت فى حالة يرثى لها، واحتاج للمساعدة لاجتياز هذه المحنة الشاقة.. إن طلقاتك المدوية القاتلة، أجهزت على وأفقدتنى القدرة على فعل أى شيء، لكنها فى ذات الوقت أعادت لى الحياة، وكأنى طفل يحبو فى أيامه الأولي..

نعم أنت حبيبي.. وليس رغما عنك.. أن حبك يضبط قوانين الطبيعة التي تيسر للناس العيش، ولا يمكن الاستغناء عنه، ودونه تتعطل المدارات وتتخبط خطوط الاستواء، وتفشل الريح فى اتجاهاتها، وتسطع الشمس بالليل، ويظهر القمر بالنهار، ويتعانق الحر والبرد والرعد والرطوبة، وترتبك حركة الكون، أنت الشيء الوحيد المنضبط فى هذا العالم الفوضوى الهمجى، فهل ترغم الطيور على التحليق بالسماء، وتجبر الورود على رائحتها، وترغم الأمطار فى السقوط؟.. معك كل الأشياء تسير طواعيه، بإرادتها، مبتسمة، فرحة، بشوشة، يملؤها الأمل والطموح. نعم أنت حبيبي الابدي، فأنت الاجدي بكلمة عاشق، تقف في أول الصفوف وآخر الصفوت، وتملأ بطلتك الآسرة مشهد العشق السرمدي.

جادت الأيام على وأغدقت وكان حبك آخر هداياها الجميلة.. لم أكن أتمنى أروع من ذلك.. تصبحين ابتساماتك لعالمى الآخر..

ابتسـاماتك فقط.. أما نظرات الشـفقة والحزن ستجعل رهاناتي خاسرة ومصيبتي فاجعة.. أحيانا أشعر بأن حبك كان ثمنا لحياتي، فما أرخص حياتـي.. وما أغلـى ثمنها.. كرمنى حبك فى الدنيا بأكثر مما اسـتحق.. كانت الساعات القليلة التي جمعتنا كافية، وأزعم أننى تركت بعض من الانطباعات والذكريات الحلوة التي سـتكون عوضا عن غيابي. علمنى حبك أن أموت منتصرا منتشـيا.. حتي لـو فقدت آخر دروعي.. علمنى حبك عندما أموت ألا أموت.

(49)

بائـعـــة هـــوى

كل بائعـة هـوى لديها قصـة حزينة دفعتهـا لاحتـراف الرذيلة، حتي تقتات قوت يومها من قروش الباحثين عن المتعة في الطرقات المظلمة والبيـوت المشـبوهة، حكايـة قديمـة منذ آلاف السـنين تـروي كل يوم ولا يهتـم بأحداثهـا أحـد ممن تلقي عليهـم.. فمن يتسـول الحب علي أرصفـة الدعـارة لا يبغي سـوي الغاية التي تطفئ الظمأ وتشـبع الرغبة، ولكنهـا الحاجة الملحة لإزالة الخجل عندما يتعري الجسـد ويكشـف عـن عوراته ليبدأ تبـادل الصفقات، فلابد من عبارات تشـوه الانحطاط والسقوط البشع في مستنقع البغاء.

ربمـا كلما حفلت القصة بالمآسـي والفواجع تـزداد القروش قطعة أو قطعتين، هكذا يتخيلن العاهرات عندما يستدرجن السذج الملتاعين وراء المتعـة، وغالبـا مـا تؤتـي بثمـار إذا صحبهـا قليـلا مـن الدمـوع والنحيب، شـريطة أن يكـون الاداء احترافيا ومكتمـلا، فارضاء الزبون أولويـات لا حيـاد عنهـا. فكلكـن مجبرات خاضعـات للسـير فى هذا

الطريق الذي فرض قسرا واجبارا، وكأن الدنيا خلت من مصادر الرزق ولم يبق سواه، كلام متداول ومفضوح، أليست هناك امرأة اختارت أن تبيع جسدها بإرادتها.. دائما الظروف اللعينة هى السبب، وسطوة زوج الأم.. أو قسوة الأب، أو مرض الخال والعم والجد.

إن اختلاف القصص وتنوعها يشهد على براعتكن فى التأليف، كنت أعلم أنك ماهرة فى حَبْك القصص الواهية والكاذبة، لكن للأسف تأتي دائما بنهايات هابطة لا يصدقها عقل.. استوحيتها من أفلامك الهابطة التي تعتادين الذهاب إليها فى عطلاتك الجنسية..

يبدو أن قدراتك فى الكذب تتراجع بتراكم السنين والتجاعيد والدهون وضعف القدرة على الإغراء ووصولك لسن اليأس الأنثوي الذي يفقدك اتزانك ويجعلك تأتين بحركات وتأوهات لا تناسب السن أو الخبرة العملية، خابت فراستك هذه المرة فى إقناعى بمبرراتك البلاستيكية، وخانتك عيناكى فى إسقاط الدموع لتأكيد المعني.. وفقدتي قدرة التمثيل والاندماج، ورغم محاولاتي لتضليل نفسي كان اداءك الركيك يفقدني التركيز في تصديق كلماتك.

لم يكن يشغل بالى امتهانك للبغاء، فتلك طريقة للعيش تروق لكِ.. ولك الحق.. كامل الحق فى عرض جسدك لمن يدفع، هذا اختيارك وحدك وتلك قناعاتك.. وليس لى أى دخل من قريب أو من بعيد.. ولكن عندما أوفر لك القوت والطعام وفرشة من الستر، فما الذي يدفعك لمعاودة نشاطك القديم، واستثارة زبائن الماضي.

الشارع هو المكان الطبيعى لإقامتك، وهو المكان الذى عرفتك به.. وهو المكان الذى تستحقينه الآن.. لا.. لن تجدى معى هذه المحاولات.. أنا مستعد أن اصفح عنك وأغفر لك كل حماقاتك، على أن تأتي بقصة جديدة غير مكررة، ولكن ليس الليلة، فأنا الليلة مشغول، أعلم أنك تريدين مكان تنامين فيه حتي الصباح.. لكن للأسف هذا غير متوافر الآن، فلدى امرأة أخري بالداخل لديها قصة حزينة دفعتها لاحتراف الرذيلة، حتي تقتات قوت يومها من قروش الباحثين عن المتعة في الطرقات المظلمة والبيوت المشبوهة.

(50)

نخـــاس

لا استطيع مجاراتك في الكلام، فأنت بارع ومتمكن، خصوصا إذا تحول الحوار إلي خناقات الحواري واكتست العبارات بالوقاحة والسوقية.. فجذورك العشوائية تتيح لك الردح بسهولة، كما أنك تجيد استخدام قاموس الشتائم البذيئة، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن انزلق لهذا المستنقع الذي تغرف منه ألفاظك ومفرداتك، وليس معني ذلك أنني ارتضيت بهذا الهذيان الذي يتساقط منك، فقط أمهلك بعض الوقت لتلقي بما في امعائك من فضلات، انزع اقنعتك واحد تلو الآخر وأكشف عن وجهك القبيح الذي تواري خلف التوسلات المحمومة.. توهمت كذبا أن خير وسيلة للدفاع هي الهجوم وبكل قسوة، وان ذلك سيمنحك جدارا واقيا لا تنفذ منه ما يلحق الضرر بك، ونسيت أنك هدف سهل لكل رماحي.

تعالي نتفق من البداية أنني فعلا بائعة هوي اقتات عيشي من قروش طالبي المتعة الذين ينهشوا جسدي كل ليلة علي نواصي الشوارع الضيقة وفي البيوت المشبوهة، عذرا فهذا محل عملي، ولكن ما الذي يجعلك تذهب إلي تلك الأماكن الموبوءة، وبشكل دائم، حتي أصبح

وجهك مألوفا في العديد منها، وظن البعض أنك واحد من أصحابها، لابد أن هناك سر وراء ذلك، أرجو أن تفصح عنه وأن تروي قصتك التي دفعتك لاحتراف هذه الهواية، مثلما نروي نحن الساقطات قصصنا الحزينة، وإن كنا نضطر لتأليف تلك الحكايات بغرض الحصول علي بضعة جنيهات، فأنت أنقي من أن تشوه تاريخك، ولك أن تعرف أن الكثيرات ممن وصفتهن باحتراف البغاء والسقوط في مستنقع الرذيلة يتربصن بك، فلا تأخذك النشوة بسرد الاكاذيب والبطولات المزيفة، فكل زياراتك مسجلة بالصوت والصورة، وأخلاقهن تمنعهن من فضحك والتشهير بك، خصوصا أنك كنت تمثل عبئا وظيفيا عليهن، كما أن الكثيرات لديهن أتعاب مؤجلة لم تدفعها في حينها بحجة قصر ذات اليد، وأنك تأتي إليهن للعلاج وليس للمتعة.

صعدت المسرح في غير أوقات العرض، وتقمصت شخصية الواعظ الذي يلقي بالحكم والمأثورات في رواية لم يكتب لك فيها دورا، فكان ادائك مقحما ورديئا وغير ملهم، كان عليك أن تنظر للمقاعد الخالية من الجمهور لتكتشف الحالة التي وصلت إليها واستحقت الرثاء والشفقة، وعندما انتهي العرض انحنيت في ابتذال مصطنع متوهما أنك تتلقي تصفيق الحضور، بينما المكان موحش في الصمت إلا من الجرذان والعقارب التي ألفت العيش معهم وانسجمت واندمجت من خصالهم، أردت أن تبرئ نفسك، كان يكفيك الصمت، لكن غباءك وضيق أفقك فتح عليك ابواب جهنم التي لن تستطيع احتمال عواقبها.. اعترف بأنني احترفت البغاء، وكان لدي أسباب مقنعة أو غير مقنعة، ليس الآن مجال مناقشتها، فقل لي لماذا

احترفت أنت هذه المهنة الحقيرة، أنت رجل بائس ومتكبر، يحيط بك الدنس من كل جانب وتدعي الطهارة.

كان يمكنك أن تقول ما تشاء وأكثر، وأن تهيل التراب علي رأسي، والا تكتفي بتشويه ملامحي فقط، وكان يمكنك تغرقني في الوحل وتمثل بجثتي، لكن شريطة ألا تكون قد تلوثت في هذا المستنقع، ولكنك للأسف عشت عمرك كله تترنح بين أحضان الساقطات والغانيات وتستبيح عرقهن ومجهوداتهن، لا فرق يا عزيزي بين الزاني والزانية سوي التاة المربوطة. فأنت لست ذلك الرجل، ولن تكون ابدا فابتلع كلماتك الرخيصة وأرحل في صمت.

(51)

الجولة الأخيرة

بعد جولات عديدة وانتصارات ملأت السمع والبصر، اتخذت قرارا باعتزال العشق والتفرغ لكتابة مذكراتي قانعا راضيا بكل ما حققته، مدركا ومؤمنا بأنه ليس في الإمكان أبدع مما كان.. حتي مسني الجنون مرة أخري ونزلت إلي الحلبة بعد أن حاصرتني عيونك وضيقت عليّ مسافات الاستغناء، وتصورت بأن قدراتي ولياقتي ستمنحني القدرة علي ممارسة الحب، ربما كان الغرور بتاريخي القديم هو من فتح تلك الأبواب التي أغلقتها بإرادتي وبقناعة تامة، وبدأت في الاستعداد لجولة جديدة منيت نفسي بالانتصار بها وتحقيق مكاسب أخري لتضاف لرصيد كبير من الانجازات والبطولات.

وللأسف أدركت منذ البداية أن الأيام تلعب معى اللعبة الأخيرة.. عاكستني الريح وضللت شراعي المتعب وتاهت أقدامي في الطرق الضيقة والميادين الفسيحة، وأحسست بأن الخسارة تقترب مني وتحلق حولي، وما آلمني أن تكونى أنت خصمى في هذه المعركة الأخيرة، فحتي تلك الأسلحة التي كنت أتباهى بها يوما عزت علي

وأصبحت بعيدة المنال، وأرهقنى البحث عن إيجاد مبرر للهروب، أو الاختفاء بعيدا عن شبح المواجهة، لكن وقت التراجع قد فات وشهد الجميع نزولي للحلبة.

حاولت ترويض عواطفى التي كانت يوما ملك يمينى، لكنى عجزت، وأصبحت قدراتي ضعيفة ورخوة، حتي استشري الداء واستحكم وتحطم جهاز المناعة، وصار يستقبل كل اللكمات دون مقاومة أو حتي إرسال إشارات الاستغاثة.. وبدوت جثة هامدة تستعذب العذاب وتطلب المزيد، وعلا صراخي واشتد من الآلام المبرحة والطعنات المتوالية، وبح صوتي الهامس حتي لم يستطع النفاذ من شفاهي.

ورحت أطرح علي نفسى تلال من الأسئلة التي لم أملك الاجابة عنها، بل ارهقتها بتحميل الذنب، وتلوت عليها قرار الاتهامات والجرائم التي ارتكبتها.. عنفتها لرغبتها الشديدة فى أن تبحر فى مياهك، وأن تغوص فى أعماقك، وأن تستنشق الهواء الخارج منك.. وأن تظل أسيرة فى رضاء ومتعة، وكنت قد اكتفيت بما حققته، فأى قوة تلك التي نسفت حصونى واستباحت أبجديتي، وغررت بي لهذا المستنقع.

مضى زمن على آخر جولاتي، وها أنذا أقدم بملء إرادتي على معركة أخرى، أعلم جيدا أننى سوف أخسرها، وسوف تخلف عذابات كثيرة ما أحوجنى إليها، لكننى مقدم لا محالة، رافعا راية الاستسلام راجيا الشفقة بمحارب قديم أنهكته التجارب، وزادت عليها السنوات المريرة بما تركته من قلة حيلة وهوان فى المحطات الأخيرة من السفر الطويل..

ربما تكون مباراة غير متكافئة، ينقصها الكثير، لكن عشمى أن تأخذك الشفقة بى، ولا تغالى كثيرا فى النيل منى، فأنا منافس فقد أسلحته عبر الزمن، ولا يترجى منك سوى الرحمة وقليل من الشفقة.. قد يكون الهروب هو أسلم الطرق للنجاة، وتجنب ويلات المرارة، لكن الوقت قد فات ولم يعد أمامى سوى الاستمرار فى معركة خاسرة، لقد فات أوان الانسحاب.

(52)

نهاية عاشق

كان عليك أن تتذوق المرارة والعذاب، لتعرف علي الأقل ماذا قدمت للمعذبات اللائي ارتبطن بك، أن كلمات القسوة والحرمان والبؤس تظل بلا معني إن لم ندرك ابعادها، وكان عليك أن تتجرع منها شيئا، حتي عندما ترددها تشعر بكل ما تحمله من آلام.. حاولت أن انسي تاريخك المضئ بالنساء والمتلألأ بالتجارب العاطفية الكثيرة والتي فاقت أيام عمري، وخشيت علي نفسي أن يكون مصيري مثل تلك البائسات اللائي خدعتهن مفرداتك الساحرة، وحصنت نفسي من كل الاغراءات التي يمكن أن تجعلني امرأة عادية في سجل مملوء بالانتصارات، لم أكن انتوي أن تسير حكاياتنا إلي ما آلت إليه، لكن الخوف كان يحركني ويوجه خطواتي، ماضيك لم يترك لي فرصة تراجع، بل كان الدافع القوي للاستمرار فيما نويت فعله.

اتفقنا أن نترك مساحة خاصة لكل منا، مجرد نفق ضيق لعوالم مختلفة وعلاقات وصداقات مع الآخرين.. نتفاعل معهم ويتفاعلون معنا، بعيدا عن المراقبة والتصنت، فليس من المعقول أن نغلق كل

الأبواب لنشاهد أنفسنا ونتغزل فيها ونشيد بمحاسنها ومفاتنها ، فلم نخلق بمفردنا ، ولم نعش في جزيرة نائية!! تحكمنا قوانين إنسانية وطبيعية لا يمكن التخلص منها، وإلا أصبحنا شواذاً في نظر الآخرين.

لكن جبروتك منعك من أن تكون رجلا عاديا في علاقة عادية، اعتدت أن تحصل علي كل شيء وأي شيء، أن تبدأ الكلام وتنهيه، تؤمر فتطاع، ونسيت أنك فقدت كثير من هذا السحر التي كان يشفع لك أن تمارس كل ألعاب الحواة والسحرة علي عشيقاتك، أدركت منذ اللحظة الأولي أن خضوعي يعني انتهاء العلاقة، فكل جولاتك انتهت باستسلام المنافسين، فعندما يرفعن راية الحب والخضوع تبدأ أنت حكاية جديدة مع أمرأة أخري.

لا يبق شيئا علي حاله، فالنهار يتحول إلي ليل، والشمس تسافر ليأتي القمر، والمنتصر اليوم يأتيه يوما يتجرع فيه ويلات الهزيمة والسقوط مثلك، بالأمس كان يومك، واليوم بلا شك يوم انتصاري حيث تتراقص الأشياء حولى في حركات منتظمة، تعلن عن تفتح الزهور وحلول فصل الربيع.. وكأنها قطرات من الماء تنساب من أعلى.. أو دموع اشتاقت زمنا طويلا للسقوط على جمر النسيان.. تبعثرت الأيام وصارت السنوات حبات رمل.. وتسللت الذكريات متقطعة ممزقة وقد اختفت ملامحها تتسول بعضا من الاهتمام.. لكن التجارب التعبة أكلت ما تبقى من صبر.. تمنيت حتفك بعد أن فقدت قدرتي على الاندهاش..

تصلب الوجه الحزين.. وتجمدت الدماء في العروق، حتي ذاب الحياء بين الأنفاس المتلاحقة وانتظار ردود الفعل الغاضبة، ليس هناك أحد معصوم من الخطأ، فلكل منا اخطائه المحتملة، وأرى أن ما حدث

يمكن احتماله إن لم تقف عند تفاصيله، وبذلك تعفيني من البحث عن عبـارات خارقة ضنت بها ابجديتي وابعدت ما بيني وبين رجاء محموم وخجل فاق حدود الاحتمال.. ولا تنسـي أن حماقة واحدة لا تسـاوي شـيئا في بحـر حماقاتك التي يشـهدها القاصـي والدانـي.. فلا تترجي العفـو، فالمبـاراة مازلت جارية، ولابد في النهايـة من منتصر يرفع علي الأعناق، سأواصل ولن أرحمك، فلا تترجي عفوا بعيد المنال، فالتاريخ يكتب نهايتك علي يدي.

(53)

صداقة محرمة

حسناً.. فلتكن صداقة.. دعينا نمزق كل كلمات العشق، ونحرق كل خطابات الغرام، ونلقي بكل الهدايا في سلة المهملات أو نحتفظ بها علي سبيل التباهي والتفاخر بتلك الأيام الجميلة التي ولت بقرارك الجهنمي، ننسى كل الأغانى العاطفية التي دغدغت مشاعرنا وحفظناها لنلقيها في لحظات الغروب.. دعينا نبدل الكلمات..ونشوه الحروف، وتصير كلمة عشيقتي : حبيقتي، نصف الحبيبة ونصف الصديقة. ولنترك جسور التنهدات التي أرهقت الصدور وأزهقت أرواحنا.. دعينا نمارس الكذب مرة أخري علي أنفسنا، ونتجرد من أجمل ما فينا، أنسي أنك كنت حبيبتي التي كان يشرق معها نور الصباح، وتنسين أني حبيبك الذي كان يطل القمر من بين عينيه، هذا وصفك لي ولا اضفي علي نفسي عبارات مغال فيها.

لكن ما يحيرنى بالفعل، هو عندما أراك فى الطريق العام مصادفة، هل أقف لتحيتك وأجاملك بعبارات سخيفة ونطلق في الافق ميعاد وهمي ننهي حالة الارتباك المروي الذي سنحدثه، أم أمضى فى طريقى

غير عابئ بك على اعتبار أنك أصبحت شيئا مهملا، ونستعيض عن ذلك باشارة باهتة وايماءة تملئها اللامبالاة.

الصداقة ارخص حتي أنها لا تكلف شيئا، ولا تلزمنى بشراء زهور فى عيد الحب، أو البحث فى مفكرة الأيام عن مناسبة أنفذ إليها بهدية تشتاقين إليها.. الصداقة أبقى وأفضل.. فهذا سيعفينى من أسئلتك المملة والمتكررة والمتسلطة والغيورة عن ماذا أكلت، وماذا شربت، ومع من تحدثت.. ستفكك قيودى وأغلالى التي صنعها عشقك المتهاوي. ولا شك أن هذا الوضع سيخفف من وطأة شطحاتك التي كانت تصيبني بصداع دائم وتوتر في القولون الذي أصبح عصبي بفضلك. وهذا لن يلزمنا بالاتصال صباحا ومساءا وظهرا وعصرا وفجرا ومن بين المواقيت لنطمئن علي بعضنا البعض بعبارات باردة (ماذا تفعل، ماذا تفعلين)، ولاشك أن هذا سيمنحنا، وخصوصا أنا الفرصة لبدء علاقة أخري مع امرأة أخري غيرك بالطبع، فشروط الصداقة لن تمنعني من العشق والحب والتوهان، وسيجعلنا نكف عن تناول العديد من الأدوية التي كنا نلتهمها من بين الحين والآخر لضبط الاعصاب.

كنت سجينا لتلك العبارات المطاطة التي كانت تسقط على من فم بارد لا يجيد مخارج الألفاظ، وقلب بلاستيكى سريع الانكماش والانتشار.. تحررت إذن من عبوديتك، وأصبح خيالى طليقا بعد سنوات الاعتقال التي مارستي فيها كل صنوف العذاب والتنكيل، الآن حصلت على قرار إفراج نهائي وغير مشروط بالمراقبة والحضور ليلا للبيات تحت نافذة أيامك حتي اراقب النسمات التي كانت تغزو غرفتك من حين لآخر. يمكنني أن أنام دون ضغط أو أحساس بالذنب. فالصداقة تعطيني حقوق كثيرة وتفك عني قيود أكثر.

لا تغضبى، فهذا قراراك، وسأنتهز الفرصة غير نادم على شيء سوي أننى أحببتك، ولم أتخيلك غير ذلك.. أما حكاية الأخوة والصداقة، فأعذرينى فأنت لست مؤهلة لها فى الوقت الحاضر.. ربما أفكر فى المستقبل، لكنى لا أقطع وعدا بأننى سأفعل، فحتي شروط الصداقة غير مطابقة لمواصفاتك المتواضعة..

(54)

شرائط دموية

بعدما اتفقنا علي النهاية، مرت الأيام بطيئة وحزينة، عانيت فيها ما عانيت من وحشة وعذاب، وظل هناك سؤال لم استطع الهروب منه، لماذا حدث الانفصال؟ حاولت جاهدة العثور علي سبب واحد يفسر ما حدث، ليس رغبة مني في معالجة الأمور وأعادت المياه مرة أخري إلي قنواتها الأولي، لكني اردت أن اعرف من أخطأ، من الجاني والمجني عليه؟ فهل يعقل أن تكون رسائلى التي سطرتها بأحر المشاعر وأعنفها، مادة لمراكب ورقية وصواريخ طائرة.

كنت أعلم أن غرور العاشق سيأتي له يوم ويرتكن فى إحدى الزوايا يرتشف من اللوعة ما يستحق عقابا صغيرا علي أفعال مشينة ارتكبها في ايامه المخمورة تائها في الخيال المصطنع مع عاشقة وهمية، وأن الكلمات التي كانت عوضا لى فى لحظات الانكسار، ستكون السوط الذى يؤرق وحدتي ويطيل ساعات الكمد والأرق، كنت أعلم أن نهايتي ستكون مأساوية لا ترتقى لتاريخ طويل من الانتصارات، لكنى على أى حال كنت أعشم نفسى بنهاية تكون جراحى فيها غير غائرة، يمكن احتمالها، والصبر على آلامها.. لكن للأسف أصبح كل شيء

غير محتمل.. كانت نظرة فى عينيك تمثل عمراً من الطفولة والبراءة والحلم، والآن أصبحت صرخات مدوية ومفزعة ومخيفة.

أين أيامى التي راحت تضفر شعري، وترتب ملامحي؟ هل ارتكبت جرما استحق عليه كل هذا العقاب؟ أم أن بقائى يذكرك بضعفك وضآلتك، والحق أنني بحثت عن دليل اتهام يحفظ ماء وجهي، لكني فشلت في ايجاد سببا واحدا يبرر ما حدث، وسافرت في الأيام البعيدة محاولة استرجاع الماضي، انقب في الذكريات عن لحظة صدق، وانفعال حقيقي، احضرت الصندوق الخشبي التي كنت احتفظ فيه بذكرياتي معك لم أجد شيئا ذات قيمة، كلها اشياء تافهة تدلل علي بؤس العلاقة وفقرها الشديد.. شدتنى بعض «الشرائط» الملقية فى زاوية الصندوق، شرائط شعري القرمزى، هل تذكرها؟ فقد احتفظت بها، عندما قمت ذات مرة باستعراض خصلات شعري ، وأخرى برتقالية أنسابت بينما أناملك في لحظات سقوط رخيصة.. وآخرتين حمراواتين فضها الشوق إلى صدرك.. فقد كان يحلو لك أن تضفر الخصلات بأنفاسك وتنهداتك وتعيد ترتيب وتهذيب ما تطاير منها، هكذا كنت تصرح لي دوما.

فتشت كثيرا فى صندوق ذكرياتي.. وكأنى أفتح قلبى على مصراعيه لأفضح أيامه وأعرى سوءاته، كانت محاولة بائسة وشيطانية لامساك طرف خيط أقيد به عنقك حتي ما اذا استحكم جذبته بقوة فتخرج روحك لاهثة بغير رجعة فيرتاح قلبي المتعب واشفي من آلامي المبرحة، لكني لم أجد شيئا يستحق عناء البحث، لم أجد كلمة عشق واحدة، فهل أنت عاشق سري؟ كنت ألجأ إليها ليلا متخفية لافرغ كبتي واحباطاتي عندما يشتد بى البؤس فلا يراني أحد.

لا يحتاج المرء كلمات عبقرية لينهي بها حكاية سخيفة ومملة، فقصة عشقنا الوهمية لا تستحق أكثر من ذلك، لقد فعلنا الصواب بانفصالنا، نحن نموذجين سيئين للعاشقين، عندما يتبقي من علاقة عاطفية شرائط دموية علي شكل مشانق، فأن الامر يدعو للرثاء والسخرية في ذات الوقت، ويدلل علي أننا شخصان متواضعان. حتي الصداقة لا ترتقي مؤهلاتنا لها.. فوداعا.. وداعا..

(55)

رحيل شهر زاد

أنتي حكاية ناقصة كتبها قلمى فى لحظة احتضار.. ونسجها خيالى فى محاولة يائسة لتضميد جراح قديمة.. وهما تكّون من زفير أنفاسي.. وخطيئة كبرى وأثم عظيم لن يغتفر..سأظل دوما ادفع ثمنا باهظا لحماقتي فى الاقتراب منك. وعندما يأتي يوم الحساب علي أن اسدد فواتيري كاملة برضاء أو قسرا، فتلك ديون قديمة يجب الوفاء بها حتي أحصل علي مخالصة نهائية، وهانذا امتثل راضيا.

يمكننى أن ادخلك من جديد فانوسى السحري.. وأحكم قبضتي على أنفاسك.. انت روح شريرة استطيع ان اصرفها وقتما أشاء.. فلا تتوهمين أملا منحتك اياه في رحلة البحث عن مخدر سريع المفعول.. لقد أديت مهمتك علي أسوأ وجه، وحصلتي علي كامل حقوقك التي لا تستحقين منها شيئا، اخرجي ببطء من صفحات حياتي، ومن دون ضوضاء، فقد سئمت التوسل والرجاء، مازلت احتفظ بمفاتيح شخصيتك الهشة، فأنا من خطط لك الطرق لتمشى عليها وتختالين، وأنا من علمك كيف تعشقين وتتكلمين، فكل بطولاتك وهمية زائفة.. وكل تاريخك الكاذب أنا الذى دونته، استطيع سحقه ومحوه فى أى

وقت.. أنت بعضا من الريح فى قبضة يدى، يمكن التخلص بسهولة منها إذا افسحت لها المجال.

تخيلت أن الافاعى يمكن ان تعيش يوما بين الناس.. وفاتنى أن انزع سمها واقضم أسنانها وأهذب من طباعها الوحشية.. يحكي عن راعي غنم التقط من البيداء ذئب صغير ضل عن عشيرته من الذئاب فأحسن تأديبه، ولم يخبره يوما بأنه ذئب، حتي آمن شره، وجعله يرعي مع صغاره، وفي يوم من الأيام بينما كان يعسعس في البرية اشتد الجوع علي الذئب فلم يجد غير الصغار ليلتهمهم، واحتار الراعي كثيرا فيما حدث، وبعد تفكير قليل أدرك أن الغريزة أقوي من الطبيعة ودروس الاتيكيت؟

أنت يا شهر زاد بقاؤك مرهون بصياح الديك.. حتي تقلع رقبتك من فوق رأسك.. وتقفل صفحة سوداء من صفحات كثيرة احتليتي فيها بلا منازع أحطها وأقلها شأنها.. شاء قدرك أن تكونى محطتي الأخيرة.. وأن يكون آخر استعراض أقوم به على جسدك المترهل وعظامك النخرة.. فلا تصدقى خطواتك المتأرجحة التي تآمل وهما بالنجاة..

عندما أكف عن الكتابة فأنا بذلك أنسف ماضيك وحاضرك ومستقبلك، واعلن نهايتك السريعة.. فأنا الذي أملك بدايات الحكايات وخواتيمها، وأنا شهريار وأنا مسرور والسيف المسحور، وسيكتب التاريخ ما أمليه عليه، وسأنزع عنه كل الصفحات التي ورد بها اسمك، كم انت امرأة تعيسة وبائسة، لم تحسن رد الجميل والعرفان، فتحملي ذنب ما اقترفته يداك، وادخري دموعك فالأيام القادمة في حاجة إليها.. مازلت امتطى صهوة جوادى، ولم يسقط سيفى بعد يا جارية مملكتي..

فاتنى تعليمك أشـياء كثيرة..لم يسعفنى الوقت لتلقينك إياها.. ولن يسـعفك لمعرفة المزيد.. اسـدلت سـتائري.. وسـيعلن انتصاري.. أما مسـألة عبورى واجتيازى لحدودك الوهمية فهذا أمر يرقى إليه اليقين.. ويمكن صناعة امرأة أخري بمواصفات إنسانية.

(56)

كبرياء الرحيل

يكفيني هذا الخيط الرفيع الواصل بشريانى، وتلك النظرة الصامتة - البلهاء أحيانا- التي لا تفسر شيئاً، لكنها مقنعة بأن الحياة تسير فى خط معقول، وفى حدود دنيا ، ولا امنى نفسى بالمزيد، فهى تحافظ على قدر شحيح يمكننى من التواصل والعيش، أشعر بالخوف من انقطاع هذا الخيط ليس حزنا عليك، فأنا أعلم أنني خارج كل الحسابات والمواقف، لكنني أخشي علي أحلامي التي عشتها أن تشعر بالخجل من هول ما بلغت من امنيات ذهبت إلي الجزر المسحورة، سأتحمل هذا الوضع السخيف، حتي أبرر لتلك المشاعر الجميلة أن تمضي في حدائق وهمها وتفرح بكل ما حققته من مكاسب واهية.

لا يشغل بالى كثيرا إن كانت الشمس عمودية أو عرضية، فحاجتي منها قليل، أو أن القمر فى ليلة تمامه أو تحجبه السحب السوداء، فما تسمح به من بصيص يكفى لإضاءة بقعة من حياتي.. الشكل فقط هو ما يشغلني لحفظ ماء الوجه، حتي وان فرغ مضمونه من التقدير

والمواساة، سأهجر هذه البلاد وأرحل بعيدا، ولكن امنحني فقط حق الهروب المشرف الذي لا يجعل ضابط الجوازات يلقي علي باسئلة محرجة تكشف عن قلة حيلتي وامكاناتي الضعيفة، اجعلني أن اسير آخر خطواتي في عزة وكبرياء وبعدها افعل ما شئت، فلن اغضب، وسأحمد لك هذا المعروف الكبير.

هكذا عشت، وهكذا سأعيش، لن تغريني بأكثر من ذلك، ولم أطمح فى غير ذلك.. وكم كانت ليالى الطويلة تبحث عن خيال خصب، مجرد خيال، يجعلها تسبح فى عالم فسيح أو حتي محدود تتقطر منه بعض من كلمات وحتي لو كانت غير ذى معني.. عشت راضية بما أنا فيه.. وصبرت على عشقى بإرادتي أو رغم عني.. مرت الأيام والشهور والسنون، وظننت أنها تخبئ له فرحة.. وطال انتظاري.. لكنى لم أيأس، حتي أصبحت لى مناعات للتحمل والصبر، لم يفتر أو ينقص، ومثل لى هذا أملا جديدا.. كنت أعلم أنه سراب يتبدى لى، لكنه كان يرضيني.. التبشبث بأمل كاذب خير من أن الموت السريع.

والآن.. ما عدت أطيق التعبد فى هذه الصحراء وحيدة.. يتملكنى الخوف من ميتة لا أهنأ فيها بوداع الرفاق والأحبة، كل الكلمات التي كتبتها على الرمال عصفت بها الريح.. وكل القصور التي بنيتها أكلتها العواصف.. وضقت بنفسى بعد أن حملتها فوق طاقتها، حتي أننى لم أوفر لها كرامة الرحيل وكبرياء النهاية..

حق لى الآن مقابل عن كل هذا الحب والعشق، وهذا الإخلاص الذى وليتك إياه، مجرد مكافأة تكبح رغبة الذل التي استوطنت داخلى

كل هذه السنوات الطويلة.. ترضية بسيطة عن كل عذاباتي.. والأمر لن يكلفك شيئا سوى أن تمنحنى الإذن بأن أعطى قلبى الأمر بأن يفكر فيك أكثـر وأكثر.. هذا آخر رجاء لي.. فهل أكون بذلك تجاوزت حدودي.. أنه العشـق غير المشـروط الذي لم يكلفك شـيئا علي الاطلاق، مجرد اذن حتـي لا اخجل يوما من نفسـي عندمـا اصارحهـا بحقيقة الموقف الغامض والمربك الذي وصلت إليه، لدي من الاكاذيب الكثير، أطمح فقـط في أن أخرج من حياتك بكبرياء دون اهانات او تشـهير وقليل من الذكريات الكاذبة.

(57)

لست ضحية...!

هل تعتقدين أن قلبى مثل قلب الأم يغفر ويسامح ويبتهل للسماء بالراحة والطمأنينة لمن يحب.. ربما يكون هذا الاعتقاد قد تسلل إليك في الفترة الأخيرة، وساعد علي تجاهلك المتعمد وغبائك المتكرر، ولم تفهمي أنني أوثر السلامة حتي لا تتفاقم مشاكلنا أكثر وأكثر، ويهمني أن اخبرك بأنني لا أملك قلب أم أو أب، أنا عاشق فقط، عاشق بكل أنانيته وجنونه ورغبته الجامحة فى امتلاك قلب من يحب وفي الوقت الذي يريده ودون وصاية. وعلي قدر ما تعطي سيتحدد المقابل، ليس هناك حبا مجانيا، فالاشياء المجانية غير ذي قيمة.

أصبحت الكلمات بلا فائدة، ما عادت تملك ما كانت تملكه بالأمس، فقدت تأثيرها عليك، او أنها عندما تصل إليك تتبخر حروفها وتتلاشي سطورها وتتحول إلي أوراق ناصعة البياض تحض على الكآبة والشفقة وأحيانا البلاهة، حتي تلك الرسالة الأخيرة لم أتلقى رد عنها، ربما لم يكن الورق متوفرا، لا اعرف تحديدا سبب إحجامك عن الكتابة، أغلب الظن أنك لم تقرئيها، وخشيت أن تكون فقدت منك فى زحمة يومك الخالى، وكأننى كنت أكتب إليك واجب مدرسى فى

العطلة السنوية، لا قيمة له ولا معنى، ورغم الأحاسيس المختلطة التي كانت تنتابنى من هذا العزوف غير المبرر، دون سبب مقنع سواء كان سلبيا او ايجابيا، عانيت في البحث عن مبرر واحد يقوى من موقفك، ويضعف من شكوكى، وجاء صمتك ليزيد الامور تعقيدا.

عاونتك كثيرا، وساعدتك كثيرا، ولم انتظر مقابل معنوى أو أدبى أعلم أنك تفتقدينه، وما كنت لأطلب شيئا خارج إمكاناتك.. نجحت كثيرا فى إزاحة كل خصومك حقا وزورا، وكنت أقنع نفسى بأن هذا عمل جدير بالاحترام لأنه مردوده فى نهاية الأمر لى، فسعادتك كانت تعنى سعادتي.. فهل تطلبين منى أن اتخلص من قلبى كى يرتاح قلبك.. لن اسامح نفسي فأنا من علمتك ان الاقصاء هو السبيل الوحيد للخلاص من المزعجين، والآن تحاولي أن تمارسي معي تلك اللعبة باقصائي عنك.

من حقك الابتعاد.. أو الهروب، أو ما شئتي.. خائفة.. شاردة.. لاهثة، ربما تكون يقظة ضمير فى غير مواعيد الصفح.. وليكن.. أى شيء يمكنك استخدامه.. إلا شيئا واحدا وهو أن تجعلى من نفسك ضحية.. أرحلي.. اختفي.. أذهبى حتي إلى الجحيم ، لن أغضب.. ولن أثور.. ولكن أحذرى أن تكسى عيناكى المتبجحة تلك النظرة البريئة والعفوية وأن تجعلى من نفسك ضحية.. فهذا معناه أننى كنت الجاني.. وهذا لن أقبل به أبدا.. قد أشارك فى نهاية مقبولة معتدلة تمحي كثير من أفعالنا الشيطانية التي شاركنا في صنعها معا، أنتي بالتحريض والايهام، وأنا بالتنفيذ والاتمام، ولكن ليس على جثتي.. أفهمى ذلك جيدا.. فلستي ضحية ولست أنا الجاني، نحن شركاء الشيطان في كل شيء!

تقولين أنني صياد، وانك فريسة، وان كل الخلاف بيننا هو أنني أحمل رمحا وأنتي تحملين نغازتين وطابع من الحسن، هذا هراء، لا أنا صياد ولا أنت فريسة، نحن شيئان متطابقان سيئان كانا أم حسنان، اختاري ما شئتي من التصيفنات، وأعلمي أن يكون الاختيار متطابق حتي نستطيع ان نقنع الآخرين بهذا الانفصال البديع.

(58)

أنت عنواني

فاجئنى موقفك الأخير.. وظللت اسأل نفسى ماذا حدث، وهل اقترفت ما يستوجب كل هذا الهجوم المبالغ فيه، آخر لقاء تليفونى كنا نتبادل فيه كلمات العشق، وكنت أسمع أنفاسك ما بين الحروف، وتنهداتك التي كانت تتوسل ألا انهى المكالمة، وظللنا فترة كبيرة من الوقت، حتي احسسنا بأنه لم يعد هناك شيء نتحدث فيه، فارغمنا التعب على الافتراق! واتفقنا على تحديد ميعاد نلتقى فيه، لا أذكر شيئا عكر صفو الحديث، حتي كلماتك الأخيرة، حول أننا صرنا روحين فى جسد واحد، وأن بقائى امتداد لبقائك، والصباح يبدأ باطلالتي وكلمات كثيرة لا مجال لذكرها الآن. ثم فوجئت بهذا التغيير المربك فى تصرفاتك تجاهي.

ازدادت حيرتي فى الفترة الأخيرة، وما زاد من شكوكى هذا العبث الذى كنت تمارسه، ولا تجيد تصديره لعقلى، وعزوفك المتعمد عن الاتصال والهروب المستمر من تبرير أفعال رأيتها فى حينها أنها مستفزة وغير مبررة، لابد أن هناك شيئا لا أعلمه، وكان لزاما على أن أتروى وأفسح المجال قليلا لهدنة مطلوبة فى ظل هذه الأجواء، لكنى

فعلت العكس وظللت ألاحقك فى إصرار طفولى عنيد وتخيلت أن هذه الطريقة سوف تؤتي بثمار وتذيل الضباب الذى تراكم وتكاثف ، لكن صراخك أفسد الأمور مرة أخرى، وضاعف من الطلاسم التي أرقتنى وزادت من حيرتي.. وبادرت باطلاق قذائف مدوية بغرض اخافتي وترويعي.

نفذت كلماتك الساخطة إلي.. شعرت بها وهى تخترقنى، توسلت إليها أن ترفق بى، انطلقت فى وجهي.. لم تحتمل أن تظل حبيسة، أعلنت عصيانها وتمردها، واجهتنى بكم رهيب من الأسئلة وعلامات الاستفهام؟ كثير منها مغرض ومزيف، حتي كدت أتلاشى من شدة خجلى، وقدرتك علي تزييف الحقائق، ربما تكون الظروف قد ساهمت بقدر ضئيل فى أن نتجاهل بعضنا البعض، خشية من العيون المتراصة، أو بعض الفضوليين الذى يلهثون وراء حكاية يفضون بها جلسات نميمتهم، لكن هذا التجاهل متفق عليه سلفا، ولا يعنى بأى حال محاولة للجحود أو نكران الجميل، فهو كما قلت متفق عليه.

ربما أكون قد لجأت فى بعض المرات لطرق غير اعتيادية تتفق وطبيعة علاقتنا المضطربة، ورغم ذلك، لم ينقص هذا الأمر شيئا من المنزلة والمكانة التي تحتلها داخلي. اعتدنا على طقوس محددة وبتوقيتات مضبوطة، وكنا ننتهز الفرص الممكنة التي تتاح لنا، وهذا الوضع المرتبك لم أفرضه عليك، ولم يكن استسلامك له قلة حيلة.

علي أى شيء تلومني؟ ادراكى من حجم المعاناة التي تعانيها يجعلنى أحيانا عاجزة عن تغليف بعض العبارات لارضائك، فما تعانيه لا تضاهيه كلمات. كما أن مناقشة الأمر بهذا الشكل يضر بعلاقتنا ويقذف بها فى مهب الريح. كم كنت أتمنى أن أجهر بهذا العشق

أمـام الجميع، لكنها رغبتك الملحة والمتكـررة بعدم فضح الأمر، فلن يضرنـى شـيء مـن التصريح بمـا تفضحنى بـه عيني. فـلا تضطرنى أن أفشـى ما بيننا حتي أدلل على صـدق نوايای، ففى هذا عصيان لأوامرك التـي أحرص على تلبيتها. لم تترك لي خيارات حلوة، ووضعتني كارها متعمـدا مـا بين الرحيـل أو الرحيل، فلك مـا أردت، ولا عزاء، لانك لا تستحق المواساة.

(59)

لم تعد طفلة

هل آن للزهرة أن تنتفض من سباتها.. لتحتل موقعها فى بستان العشق، أن تعلن عصيانها على الضفائر والارشادات الأبوية العقيمة، ونظرات الأقارب الحانية.. انتهي زمن الالعاب الصبيانية، وصار اللعب له شكل آخر ومزاج آخر، ومتعة أخري، لم يعد هناك مجال للصمت بعد تفجرت ينابيع الحياة وتبدلت ملامحك، يمكنك الآن أن تصرخي أمام الجميع بأنك كبرت ونضجت حتي صرت عاشقة.. لم تخف حمرة خدودك أنوثتك التي باتت لا شك في اكتمالها، وكما يقولون في الامثال المأثورة «خراط البنات ابدع وصور وجسد « الآن صرت أمرأة فدعي العرائس جانبا، وتمتعي بانوثتك التي فارت عليك.

كفى ما مضى من سنين الطفولة والمراهقة وكتابة الاغاني علي كراسات المدرسة، بدأ تقويمك الانثوي، نظرة واحدة من نافذة غرفتك ستوضح كثير من الأمور، فلا مجال للهروب والتخفي.. الآن صرت امرأة يمكنك التعبير عن مشاعرك دون خوف أو تردد. انتظرت حتي

اكتمال البدر، وها هي السماء مضيئة ومتلألأة، ولا استطيع الانتظار أكثر من ذلك..

لم تعد هناك حجج.. ألم تشعرى أنك فى حاجة إلي؟ إلى من يشاركك العمر، وأن يقتسم معك نصف القمر، ويؤنس لياليك الحالمة الدافئة، الوقت قد حان؟ لا أستطيع الانتظار أكثر من ذلك.. تعلمت منك كل شئ.. إلا الصبر.. من أى شئ تخشين؟..انتهى أوان سماع الأغاني.. وكتابة الرسائل على أوراق ملونة.. سئمت الكلام همسا.. أريد أن أرفع صوتي عندما أتحدث معك.. وأن أعلن للعالم بأن حبيبتي صارت عاشقة.

أعدك أننى سوف أكون مخلصا وفيا.. وسوف تكونين أول التجارب وآخرها.. مازال أمامنا كلام وحكايات كثيرة.. نحتاج إلى سنين طويلة كى نقول كل شئ.. أحيانا أشعر أن العمر قصير جدا، ونحتاج إلى كل سنين العشاق، ولن تكون كافية!! هدئى من روعك.. الأمر لا يستحق كل هذا الانفعال.. ربما تكون البداية هى أصعب شئ.. سنجتاز كل العراقيل معا وسنطفو علي الظروف، ونكتب قصتنا بدمائنا.. أمامنا سنين كثيرة سوف نقطعها عشقا.. سوف نسبح فى الخيال لنرسم حكايات لم ترو بعد عن العشاق..

ولأنك عنوانى ومكاني.. ولأن اسمى منسوخ منك.. وملامحى هى ذات ملامحك أدركت الآن لماذا أحبك بكل لغات الدنيا..يمتد العمر فى مقلات عيونك.. يحدثنى عن أيامى وسنينى، ويخبرنى بأن اليوم جميل جدا، لكنى أخشى من سكرات الدنيا، أن يأتي يوما اتلفت

حولى فلا أجدك.. أخشـى من امواجى الغضبة على شطآن لا تقرأ شعر عيونك.. أخشى الغرق فعلمينى كيف أسبح فى أيامك..

اليـوم ولـدت وتاريخ ميـلادى مكتوب فـى يديك.. يتجمـد قلبى، يتوقف، أحببتك.. لا حيلة.. أحببتك رغما عني.. وكأنه امرا مفروضا.. وكان أحد شـروط حياتي أن ابقى أحبك.. أن احصى نجومك.. وأزين بها كل أشـعاري.. ابحرت.. طرت.. غصت.. ورجعت لم أدرك شـيئا سـوى أنى مازلت أحبـك.. فأذني لي بالحياة وأفتحـي لي أبواب قلبك المغلقة. فالآن آن للزهرة أن تنتفض.

(60)

طقوس جديدة

من الأشياء التي لا أستجيب لها سريعا هى تغيير عاداتي اليومية.. فالحياة عندي محسوبة بالورقة والقلم، لا زيادة أو نقصان، هكذا أحاول أن اسيرها، إلا إذا كانت هناك مفاجأت وأحداث قدرية تقلب هذا النظام الذي أحرص عليه، فأنا تقليدية لحد بعيد ونمطية بالفطرة، وتبديل الطقوس التي اعتدت عليها ليس بالأمر الهين، خصوصا إذا ارتبطت فى مجملها بك، تناغمت طباعى القلقة وتوافقت مع ممارساتك وطباعك الجميلة التي تناسبني جدا وتعودت عليها مع الوقت، وأصبح الاستغناء عنها محال، استطيع اقول أنني ادمنتك وضبط نفسي علي مواقيتك.

افقدني هذا النظام الدقيق والمرضي فرصا كثيرة ومتع أكثر، ورغم محاولاتي الشحيحة لكسر هذا النمط المتكرر جاءت جميعها بالفشل، ويمكنني القول أنني لم ابذل جهدا في التغيير ورضخت للروتين اليومي الذي جنبني المفاجأت، لذلك جاوزتني بعض الاشياء التي كان من الممكن أن يكون لها مردودا ايجابيا، فليس كل التغيير سلبيا.. مع ادراكي بأن السعي لعدم الرضوخ يضيف ابعاداً أخرى وأوجه شتي، لكنى رضيت عن قناعة بما أنا فيه، ولم أطمح فى أكثر من ذلك. فما

كان لدى، كان يكفى ويزيد، وليس لدي رغبات توسعية أو طموحات حياتية، فما أملكه يسعدني ويرضيني.

كان هناك اتفاق بيننا، تتنصل الآن من بنوده وتتجاهل عن عمد أهم شروطه.. حاولت أنا أن أحافظ على وعودى وأن التزم بها، وكثيرا ما كنت أقسو على نفسى حتي لا أعرضك لأى نوع من القمع أو البطش بحجة حرصى عليك أو الخوف أن يمسك سوء، التزمت بواجباتي وحقوقك.. ولم أفرط فى أى منها، ولم أجور على شئ.. كان هناك اتفاق بيننا أن نمارس الحب والحياة والعشق بعيدا عن العلانية المبالغ فيها، وألا نسمح للآخرين من مراقبة تصرفاتنا وهمساتنا وأنفاسنا ما دمنا أسوياء عقلاء لا نسيء لكرامتنا.

استقر فى يقينى الآن.. أن طريقنا لم يعد واحدا..وأن ميولنا تزداد فى الاختلاف والتباين كلما مر الوقت.. وأن أية محاولة لرأب هذا الصدع الذى طرأ علينا، سوف يكون محاولة فاشلة.. ولا أدرى لماذا بدأ الملل يتسرب إلى نفسى فى الفترة الأخيرة.. وأصبحت غير شغوفة على البوح بمشاعري علي قوارع الطرق، الوضع الآن أصبح مختلفا، بل أشعر إنه بات حملا ثقيلا يصيبنى بالغثيان عند الشروع فيه.

لقد مللت تمردك المستمر وتحريضي علي الانتشار السريع، لن أعرض عواطفي في فاترينات العشاق، فحكايتي معك حالة خاصة واستثنائية لا تهم المتطفلين، ولن أسمح لأحد تناولها من بعيد أو قريب، كان هناك اتفاقا بيننا ألا نوغل فى هذا المستنقع الرتيب الذى بدأ يزحف على جينات المقاومة ليضعفها فى استسلام مربك ومثير للشفقة أحيانا.

عندما يأتي اليوم الذى أمارس فيه العشق معك ليل نهار، فتأكد أننى أكفر بذلك عن شـئ اقترفته فى حقك.. فأكثر العشاق كلاما هم أكثرهم ارتكابـا للأخطـاء، فلا تدفعنـى للكذب حتي لا اضطـر لخيانتك عندما يفيـض بى الكيـل، عاداتي جزء من شـخصيتي وإذا حل عليهـا التغيير، يكون ذلك ايذانا بأنني أسـير في اتجاهـات قد لا ترضيك، وأنا حريصة علي ألا أفعل شيئا لا يرضيك.

(61)

فاتورة حساب

مازلت تمارسين كذبك الذى لا تجيدين تمريره، رغم أنه عادة اصيلة منذ نعومة أظفارك.. كنت أعلم انك تخدعيننى وتستغلين ثقتي، ولم أكن يوما معك صلفا بل منحتك فرصا كثيرة للاعتراف وتبرئة نفسك من أى شيء قد تعلق بك رغما عنك؛ أو هكذا وجدت مخرجا لعدم الريبة.. لكنك كنت تغالين فى نقائك وإنسانيتك.. وتتهمينني بعدم الثقة والشك.. ورغم أن نداءاتي كانت كثيرة إلا أن إصرارك بدد داخلى أى شك، فقدرتك على الإقناع جامحة لا يمكن التصدى لها، بل المحزن أننى كنت أعنف نفسى كثيرا على إلحاح تساؤلاتي التي كانت تزعجك أكثر الوقت.. يبدو أنك امرأة غبية.. لا تتعلم من اخطائها.. وتصر فى تحد وجهل على ارتكاب ذات الأخطاء دون مراعاة لتكرارها أو تجديدها بين الحين والحين.. ليس أحد معصوم من الخطأ، لكن حتي الكذب والغباء يحتاجان قدراً من الذكاء والحنكة.

تفوقت على الكثيرين وسجلت أرقاما غير مسبوقة فى التمتع بالغباء، ليس لأنك لا تتعلمين من اخطائك الكثيرة، وأنما لاصرارك علي ارتكاب تلك الحماقات دون أن يكون هناك فارق زمنى بينها. ما

يحزننى عدم قدرتك على توظيف الكذب الذى لا تبرعين فيه، وتأتي اخطاؤك الساذجة لتكشف عن حجم السطحية والبلاهة. أرجو لا يترسخ لديك بأننى أتصيد الأخطاء، فعلى العكس قد تحملت الكثير، وأكثر من الكثير، وكنت أعشم فى الأيام أن يكون فيها التجربة والخبرة، لكنك أفسدت كل الفرص المتاحة وغير المتاحة، وأصبح رصيدى من الصبر صفر، ولا أعتقد أنك ترتضى أن اتسم ببعض من غبائك، يكفى ما أعانيه، ولا أرتضى عليك معاناته..

دعينا نتحاسب عن كل الأشياء.. عن عمرى الضائع فى عينيك، عن أيامى السابحة فى بحور أنانيتك.. عن أمنية تبحث عن مرفأ ترتاح فيه من ظلمة قلبك..ولندع نواح النسوة جانبا حتي لا تتدحرج كلمات العتاب ما بين الرغبة فى الإشفاق وضياع الحق بين أنين وآه.. الحب فى أبسط معانيه عطاء.. لا ينتظر كشف حساب.. لكنك أخطأت حروف الكلمة.. واردتي أن ترسمى قمرا بغير نجوم.. شريدا وحيدا كئيبا.. فى سماء عابثة مطرقة للصمت، سابحة فى الأوهام.. وللصرخات الكاذبة.. هل يعقل أن يولد قمر يتيم.

لا تصرخى والتزمى الصمت.. لا تجرى.. لن تجدى تلك الأفعال.. لست مجنونة.. أنت أعقل امرأة فى التاريخ.. تحاصرنى الأسئلة المخنوقة.. لن استسلم.. آن الآن أوان الحساب.. جمعى ما لديك من شجاعة وأتلى ما عندك من اتهامات.. أحببتك.. ملء القلب والوجدان وسنين العمر الباقية والفائتة والمنتظرة حنين الأيام.. دغدغت مشاعرى تحت قدميك.. عبأت الشمس فى كفى ونسجت من عمرى عقود فل وياسمين..أخلصت حتي ذابت كلمات الحب فى شفتي.. لم أبخل يوما بقصيدة شعر.. نظمت فيك أبيات المجنون..

أعطيتك كل الأشياء.. كل الأشياء.. العمر والإحساس والحكمة وقليلا من بعض الحكايات.. ومنحتك دفء مشاعر فياضة.. لم أبخل يوما.. أيكون عزائى أن تمشى على عظامي.. أن تشرب شفتاك المجرمة من مجرى دمائي.. فلنتحاسب لربما يكون الحق لك.. فلنتحاسب الآن.. فكل الأشياء تنهار على رأسي.. وربما يكون الحق لك.. الحق لك.. الحق لك.

(62)

خيانة مشروعة

لا أملك سوى الاعتذار.. لكن هل يكفى الاعتذار لتبرئتي مما فعلت؟ هل تشفع لى كل كلمات الدنيا، وعبارات التوسل؟.. هل هناك عبارات عبقرية تستطيع أن تخترق عنادك، وتذيب جبال الثلج التي تراكمت فوق قلبك؟ وأن تزيل شحوب عينيك، وذبول ضحكتك، وشرودك عني.. هل هناك جمل لم تقل بعد، حتي أرددها عليك.. فأحصل على العفو؟ لا توصد كل أبوابك أمامى، وتذكر بعضا من وقت اقتسمناه سويا.. وردة احتوينا رحيقها، ضحكة لم تكتمل إلا بين شفتينا.. تذكر كل ذلك.. كلنا نخطئ.. ليس هناك أحد معصوم من الخطأ، أعدك بأننى لن أكررها مرة أخري.. لا تنسى أننى الذى اعترفت.. كان من الممكن أن تسير الأمور بهدوء لولا هذا الاعتراف المجنون، لا تجعلنى أشعر بأننى أخطأت مرتين.. اعترافى دليل على حسن النية.

من حقى فرصة أخري.. أثبت فيها أن ما حدث كان شططاً، نزوة.. سحابة عابرة لم تدم كثيرا فى سمائك الصافية ، حاولت أن أعرف الفروق بينك وبين الآخرين، وهل تستحق كل هذا الحب، حاولت أن

اختبر مشاعرى وأن أقيس درجة حرارة حبك فى قلبي.. حاولت أن أكون مجنونة فكن عاقل.. وسامحني.. لن أفعل شيئا آخر يغضبك، لقد تعلمت الدرس جيدا، أعدك بأننى سأكون وفيا مخلصا، لا تستهوينى التجارب المجنونة أو الشطحات الصبيانية، أعدك بأننى سوف أكون ملتزمةا حريصة عليك، أعدك بأننى لو خنتك مرة أخرى فلن أعترف لك..

أخشى الصدام معك، ومواجهتك، فلا تدفعنى أن أقف خصما أمامك، سأكون صريحة معك فلا ترغمني علي الكذب مرة أخري.. ولا تفتعل معى المشاجرات، تستطيع أن تقيم الأمور بشكل متحضر، لا تصرخ في وجهي، صوتك يفزعني، فأنت فى النهاية جنتلمان محسوب عليه تصرفاته وأفعاله، تجيد معاملة النساء، فتحلي باللياقة، ولا تدفعني بيديك أمام المارة.

لدى قدر ضئيل جدا من الجلد، ولا أعرف عواقب ما ينتج عن شحاحة صبري.. مجاراتك فى هذا الجدل محاولة يائسة لرهان خاسر لا فائز فيه.. مازال الوقت براحا، فلا تجتاز الخطوط الممنوعة.. فلن استطع أن اتلقي لكماتك وصراخك أكثر من ذلك، لم تكون أولى الحماقات، ولن تكون آخرها.. لكن العادة غالبا ما تؤثر التغيير لقتل الملل أو تخفيف روتين التكرار، لذا نحاول أن نمارس لعبة الخداع على أنفسنا، ونختلق بوعى أو بدون وعى أزمات، عندما سنحت لي الظروف في الماضي أن اقف مكانك كنت أكثر شفقة منك، وتجاوزنا الأزمة، لأني سامحتك، فسامحني.

نظراتك الحادة تخترق أنوثتي وتسئ لها، كما أنها تسيء لرجولتك.. لأن كبرياءنا شئ واحد، لا يقبل القسمة على اثنين.. فلا تفرض وصايتك

المنقوصة على، أو تتوهم أنك وقعت عقدا باحتكاري.. واحذر أن تغزل بطولات وهمية على نول خجلى، فلا تنتشى بانتصارات مزيفة، منحتك إياها حرصا عليك.. أشد ما أحزننى أنك لم تفهم لحظات صمتي التي كنت آمل فيها أن تراجع نفسك.. وتخفف من حدة كلماتك.. لكنك للأسف سولت لك نفسك أن هذا انتصار مبكر لمعركة وهمية، لم يكن صمتي خضوعا وانكسارا بل ترفعا عن النزول فى عراك لا منافسة فيه، أمامك خياران لا ثالث لهما: أما أن تغفر أو تمضي، فما فعلته كانت خيانة،اعترف بذلك ولا انكر، لكنها خيانة مشروعة حتي أظل احبك وأدرك الفروق بينك وبين الآخرين.

(63)

قاتلة

توغل السكين الصغير الحاد في القلب المتعب، تسلل وتخفي واطلق طعناته المتوالية المتأنية فأحدث جرحا غائرا، تدافعت الدماء يمينا ويسارا..نزف الجرح.. لم يشعر احد بآلامي.. انشق صدرى نصفين وخرجت آهاتي تبحث عن عيون حانية، لكن كل العيون جامدة كل القلوب جاحدة لا تخفى حدتها وغيرتها وحقدها الظاهر، وكأنها كانت تنتظر حتفى، وما كان احوجنى اليك حتي القى بنفسى داخلك، وابكى وابكى.. الملم جراحى المبعثرة واشيائى الضائعة واعيد تكوينى من جديد، اجفف دموعى ربما يندمل الجرح الغائر وتخفت الامى، ويا ليته ما يطيب ففى شفائى نهايتي وخلاصي.

هل بات العشق الجميل من ليلة وضحاها وصمة عار نحاول أن نخفي ملامحها عن تلك العيون الواقفة خلف الجدران تترجي لنا الخطيئة والمذلة؟ هل يعقل أن يكون هذا العشق الذي حمل قلبينا وطاف بها فوق الاغصان مهددا بالملاحقة والمتابعة والمحاكمة ممن ذاقوا عسله وتمره؟ وهل يعقل أن نقحم هذا الوليد البديع في تلك

المعارك الضارية لنشوه ملامحه جميلة ونرهقه بميراث متعب ومرهق، وهو مازال يخطو خطواته الأولي.

رحلة نحو المستحيل، كيف تغيرت كل الالوان الطبيعية فجأة الى لون رمادى كئيب يبعث على الحسرة والتشاؤم؟ تترامى الاسئلة من اليمين ومن اليسار تبحث عن اجابات منطقية فى زمن اعوج وملتوي. هل أغفلنا قراءة الواقع لهذه الدرجة، أم أن سكرة الحب اغشت عيوننا وحجبت الرؤية عنا.

انتصف الطريق الوحيد الذى كنا نسير فيه، وتغيرت معالمه، وصار كل منا فى اتجاه معاكس حتي النظرات اليتيمة اصبحت محرمة فى زمن العرى، لكم ما شئتوا من افعال وتصرفات خارج السياق، اما انا فيجب على التزام الحكمة والاصول، وان اضحى حتي اكون بذلك قد ضربت المثل الاعلى للطغاه الصغار، فأنا القدوة التي يجب ان تحتذى وانتم الشاهدين على ان انفاسى تخرج فى الاتجاه الصحيح وان قلبى ينبض حسب ما ترون، وان خيالى يذهب فى الطرق التي ترغبون، وان احب ما اكره واكره ما احب فتلك فضائل الكبار والعقلاء والبالغين، فتبا لكم يا ابناء الشيطان.

لم تنته اللعبة بعد، وهناك جولات أخري بيننا، فأنا أعلم نواياكم جيدا، وادرك مقاصدكم، ويمكنني بسهولة شراء ضمائركم بأبخس الأثمان، ولولا حرصي عليكم لمثلت بجثثكم علي قارعة الطريق، فلا تجبروننى علي أن أفعل معكم ما لا ابتغيه، وأحذروا نفاذ صبري، فلن يشفع لكم شيئا، ولا تلوموا غير أنفسكم عند الغضب.

الوحدة والعزلة والحرمان والبؤس هى هداياكم الجميلة فى اخر فالنتين، ان اصير سجينا هو منتهى الحرية، أن ارشد عواطفى او اكبلها هو العقل بعينه، تسلبون قلبى وتقطعون شراييني وتقبضون على روحى وتحددوا لى طرق السير والوقوف والانتظار ثم تطالبوننى بكم وافر من الحب والحنان والرعاية، كيف؟ فبعد انقباض روحى وانحسارى لا فائدة منى ولا رجاء، فعبثا ما تحاولون، لن يخرج منى سوى الاهات والالام ولكم فى ذلك نصيب وفير فلا تتعجلون.

(64)

مخـــادع

خدعـت مثل غيرى فـى بداية الأمـر، وتداركت خطئـى بعد ذلك.. وحاولت أجد تفسـيرا منطقيا يربط بين أظافرك الطويلة وتلك الابتسامة الصفراء المرسومة دائما على شفتيك..لكنى عجزت.. وارجعت ذلك فى محاولة يائسـة إلى أن ابتسامتك هى الحبل التي تجذب به ضحاياك ثم تنقض عليهم، قد يبدو اسـتنتاجا طفوليا. لكنه اجتهادى المتواضع.. والأقرب لتفسـير شـخصيتك المريضة التي تحـاول أن تلق علي بالتهم الباطلة.

مازلـت تتسـكع بكلماتك المطاطة علـى أرصفة الحاجة.. تتوسـل العطـف والرجـاء بينمـا أنت غـارق في ملذاتـك وانانيتـك، تحاول أن تكسـب ملامحـك الشـريرة الخبيثة قدرا مـن الطيبة والعفويـة.. فتجئ خيباتك السـريعة.. تحيـك مؤامرتك حتي تتصدر الصفـوف الأولى.. تنـال جولات كثيرة.. لكنها ضبابية ستتلاشـى مع أول مواجهة حقيقية، عليك أن تواجه نفسك قبل أن تحاسب الآخرين.

ما يحزننى، ليسـت قلة إمكاناتك المتواضعة، فهى معلومة للجميع، ولكـن هو ثقتك الخادعة بأنك صاحب مهارات، الجميع يشـفق عليك

من هذا الطموح الذى سوف يكون مردوده شديد السوء. ولكن قدرتك على التباهى بأشياء لا تملكها هو الشيء المقلق.. وحرصك الدائم بالعزف على نغمات شاذة تثير استياء كل من يسمعها.. فقدرتك على تقييم الاشياء مازالت ضعيفة وفقيرة جدا.. ولانك رجل نصف موهوب ومحدود الذكاء تأتي شطحاتك مدعاة للضحك والسخرية من البعض.. بينما عمليات السطو الإنسانى والمغالاة تكشف كل يوما وجها قبيحا من وجوهك واقنعتك المزيفة والمتعددة..

لن أرضخ لهمجيتك، ولأساليبك السخيفة فى التعامل معى، سوف انزع قيودك التي ارهقت معصمى، وأطلق لنفسى براح الانطلاق.. سئمت وصايتك الطفولية الجامحة، كان أولى بك أن تراقب تصرفاتك المستفزة الطائشة، أعلم أنك لم تتخلص من عقدك، وأن ما تفعله معى لن يزيل عنك مشاكلك النفسية، لست سجينة ولست سجانى، فلماذا تحدد إقامتي في مملكتك الضيقة وتفرض على ممنوعاتك وتمنع عنى الهواء والتجوال.

لست تابعة لك.. لى شخصيتي المستقلة وتفكيرى الخاص بى حتي وإن كان محدود فهو يروقنى.. فمن جعلك تتسلط على تصرفاتي بتلك الصورة الظالمة التي لم تراع فيها أى لياقة أو ذوق.. فاض كيلى وأصبحت غير قادرة على احتمال أفعالك الصبيانية، لقد حاولت مرارا أن أجد لك أعذارا. لكنك لم تراع الحدود الدنيا للتعامل، واعتبرت إنه استسلامى ورضوخى صك لفعل أى شيء.. لم يحزننى جموحك وسذاجتك والتلذذ بعذابى فتلك تركيبتك المفككة التي لا حيلة لى فيها، ولكن ما أصابنى بالسخط حقا هو اعتقادك بمشروعية اذلالى..

اخترت الآن الابتعاد ، فلم تجدى معى المسكنات، أصبح الألم غير محتمل، ولم تعد لى تلك القدرة التي كانت تعيننى على احتمال ويلاتك.. احتاج بعضا من الوقت كى اعيد حساباتي مع نفسى، وهل سوف تكون مناعتي قادرة فى المرحلة القادمة على تحمل مزيد من شطحاتك.. خطيئتي الكبرى التي اقترفتها هي مقارعتك بالكلمات لان ذلك أضاف لك شرفا لا تستحقه.. وانقص مني بعضا من وقاري..

(65)

سامبا

معذرة يا عزيزتي لا أجيد السامبا فهى رقصة تثير أعصابى، وتصيبنى بالدوار، اعتذر منك على جهلى وقدراتي المتواضعة، فأنا قادم من إحدى القرى البعيدة القابعة فى بطن الوادى، وكل علاقتي بالرقص كانت مشاهدات سينمائية، حتي أننى لم امارس يوما التحطيب وهى رقصة شائعة بقريتنا، أرجو أن تتفهمى موقفى جيدا، فتلك الممارسات لم تكن تسترعى فضولى فى يوم من الأيام، وحاولت أن اتعلمها حتي أرضيك، وما جنيت سوى سخرية الآخرين وتهكمهم على طريقتي البدائية والمفتعلة، ناهيك عن صرخاتك المتوالية عندما كانت تخطئ قدمى وتصطدم بحذاءك فتصيب اظافرك الرقيقة وتؤلمك، فدعيني أتخذ مكانا فى إحدى الزوايا لمشاهدة الآخرين وهم يتلوحون يمنيا ويسارا..

اختلاف طباعنا لا يجب أن يقف فى سبيل اقتناص متع الحياة لبعضنا البعض، فالرقص يمثل لك رغبة ملحة فى الانطلاق والتحليق والمرح، ويعطل فى حواسى وادراكاتي، كما أنه يزيح عنى قناع التحضر الذى

أخفى وراءه خصائلى الريفية المتشددة.. فدعينا لا نرضخ لاختلافاتنا ونتصرف بتلقائية حتي لا تتسع بيننا المسافات اكثر مما يجب.

لا تبتأسى يمكنك دعوة شخص آخر لمراقصتك، جهلى بالأشياء يمنعنى من التعبير عن أى شعور بالغيرة أو الغضب، ولا يمكننى بأى حال حرمانك من شيء تعشقينه، فأنا أخشى أن يتسرب الملل إليك من حكاياتي السخيفة، كما أنها لن تثر فيك أى إحساس بالمتعة؛ هكذا يبدو لى من ملامح وجهك التي بدأت تتوتر وتختفى منه الابتسامة التي لازمتنا من بداية السهرة.

انتصف الليل علينا، أشعر بأطرافك وهى تنتفض، تحاول الانطلاق فلا تحرميها من متعة تشتاقين إليها، فسوف أحرص على مشاهدتك من مقعدى، ويمكننى أن أعاود حديثى الممل بعد أن تنتهى من رقصتك.. فأنا أدرك جيدا بأننى رجل أتي من قبر مظلم لحفلة صاخبة وربما دون دعوة أو رغبة من الحضور، فلا تشعرينى بالإحراج أكثر من ذلك، ومارسى حياتك الطبيعية.

عشمت نفسى بحديث شاعرى على ضوء الشموع وموسيقى هادئة تنساب علينا، فترقص قلوبنا على انغامها حتي يستبد بها التعب، خاصمتنى الفرحة كثيرا، ورغم سعيى لمحاكاة الآخرين والتشبه بهم إلا أننى لم أنجح. ولم يعد هناك وقت كاف لتعلم ما فاتني!

لن يتسرب لى الملل ويمكن قتل الوقت بأشياء كثيرة، فالأطباق مليئة بالطعام ومعدتي خاوية، كما أن الوجوه كثيرة وأحمل من الفضول ما يجعلنى أتشوق لإدامة النظر إليها. ثم أن عيناى لن تبرحك وستظل تتعقب خطواتك وأنفاسك، وأعدك بأننى سأحاول أن اتعلم

كل الأشياء التي تقربنى منك، ولكن امهلينى الوقت الكافى حتي أكون عند حسن ظنك فى المرات القادمة، وعذرى أننى لم القاك أول مرة فى حفل راقص، ولم اقدم في بطاقة تعارفنا أننى أجيد السامبا، وأظن أن صراحتي كانت أحد الدعائم التي بنينا عليها علاقتنا، والتي ارى أنها تتهاوى الآن مع صوت الموسيقى الذى يحرك مشاعرك أكثر من كلماتي البائسة التي لا تجد اذن تسمعها بعدما استولت عليها نغمات السامبا.

(66)

طفولة

مارست الطفولة منذ زمن بعيد، حتي بعد أن تقدم بي العمر، استهوتني براءتها ونقاءها عندما ولت سنواتها، لم تفزعني نظرات الآخرين من تعلقي المحموم غير المبرر والشاذ من وجهة نظرهم بها وبطقوسها وجنوحها الذي لا يهدأ. ورغم ما تجاوزته من خبرات وتجارب، وصار ما كان مقبولا من قبل بالأمس غير مألوفا اليوم، لم أعبأ كثيرا بردود الأفعال وصرت على سجيتي أو عنادى.. أفعل ما أريده، وفي الوقت الذي أريده، أصرخ دون سبب، وأضحك دون سبب، وأطلب أشياء لا أحتاجها.. ولا تعنى لى شيئا..وعندما أحصل عليها أزهدها بسرعة شديدة، وأحيانا أكسرها لأطلب المزيد.

رقصة «السامبا» يا عزيزي حالة من حالات الاعتراض علي المألوف، ومقاومة مشروعة للخمول والعجز، ولم يفاجئني موقفك منها، ولم أطلب منك ممارستها، فأنت بطباعك وخصالك وطريقتك تملأ دنيتي فرحة ومتعة، و"السامبا» لن تضيف لك شيئا، بل ربما تأخذ بعضا من جمالك ورونقك ورجولتك التي أذوب فيها وأحسد نفسي

عليها. واستمتاعي بالرقص يكتمل معك، ودونك فلا معني أو سحر للسامبا او للتانجو.

طباعنا مختلفة، وهذا سر من اسرار حلاوتها ونضارتها، أعترف بأنني أحتاج دوما لكلمات التشجيع والثناء والتي لم تحرمني أنت منها بل علي العكس تكثرها وتجودها بعناية واتقان وحكمد، وكثيرا ما أرى نفسى تحبو خلف الأشياء المفتعلة الصاخبة، ولا يهمنى أن أكون مثار سخط أو تهكم الآخرين، وكل ما يشغل بالي ألا أكون مثار سخطك، وأن احاط دائما بدفئك الذي يقويني علي مواجهة من حولي.

تجاوزت ما تجاوزته من عمر.. وزحف الشعر الأبيض على رأسى الذي اخفته الاصباغ، وتوازت تجاعيد وجهى وانكمش عنقى الذين زين بعناقيد الفل التي تطوقني بها، وبطأت حركتي قليلا لكنها انسجمت مع اعتدالك، احتفظت بألعابى القديمة فى صندوق خشبى، استعيدها حينما اشتاق لطفولتي وكثيرا ما يحدث ذلك، أستعيد الضحكات الفائتة، عندما تقسو الحياة على، وتنفر منى حالات الرضا والقناعة.. فعاملنى وكأنني طفلة.. ولا تقسو على.. لن تجدى مشقة فى تعليمي،.. فأنا إنسانة لا يجدى معها العنف.. فالعنف يزيدنى حماقة وعناداً.. وأنت أرق من النسيم ويمكنك تطويعي وترويضي وفق مساراتك.

يخيل لى أحيانا، أننى لست فى حاجة إلى رجل، بل إلى طفل لا يشغله كثيرا أفعال الكبار، يتوحد معى، حتي إذا ما رأي الأشياء المفتعلة الصاخبة؛ يحبو خلفها مثلي.. يشاركني ألعابي ويخطف مني الحلوي، ويمارس علي الرجولة اذا اقتضت الظروف ذلك.. نعم أحيانا افتعل الضجيج حتي استرعى الانتباه، أحتاج لبعض الكلمات البسيطة، وقليل من العناية والرعاية وطول البال والصبر على شطحاتي.. مازلت احتاج

لكلمات المجاملة التي تجعلنى لا أكرر أخطائى مرة أخرى، فأنا سريعة التعلم.

انت لست رجعي، فأنا أشعر أن عصريتك تفوق كل مدنيات الدنيا، وإذا كنت بهذه الخصال وتلك الروعة رجل بدائي، فأمنحني شرف أن أكون راعية غنم في قبيلتك.

(67)

تيتانيك

نستطيع الآن أن نذهب حيثما نشاء وفى الوقت الذى نظن إنه الافضل دون ضوابط أو معايير وقتية، مازالت هناك أماكن شاغرة لنا تسهر حتي الصباح.. لست كونتيسة من القرن التاسع عشر، ولم أكن يوما بحار فى مراكب صيد صغيرة.. دعك من هذه القيود والتقاليد السخيفة التي تقف حائلا بيننا، وتفقدنا شغف الحياة.. انزعى ذيل الفستان الفضفاض الذى ترتديه ويعيقك عن الحركة ويجمع فى أطرافه بقايا الأرض، واخلعى كعب الحذاء الذى يثقب الاسفلت، لسنا معنيين بتلك المظاهر التي تجعلنا أشبه بالقرود عندما تحرص على اتباع البروتوكول، فتثير سخرية البعض وتفقد أهم سماتها التلقائية، أو كتلك التماثيل الرخامية الجميلة التي تبهر من ينظر إليها، وعندما يهم بملامستها يشعر ببرودتها الشديدة وبثباتها المميت.

لنجعل لكل يوم أهميته؛ نملأه حيوية وطفولة، ونحمله بين عيوننا الملتاعة وأكفنا الملتهبة، نطعمه عسلا ولوز فينشر شذاه على شفاهنا حتي نرتشف النشوة ونذوب فى المتعة، ولا نعبأ بشيء و إذا ما ارتوينا

نعيد مرة ثانية وثالثة، ونعلم الحب أشياء جديدة لم يدركها مع العاشقين الآخرين، ونخترع طرق جديدة للحياة، فالتكرار يميت الحب ويصلب الشرايين ويحول الشغف إلى بلادة وروتين.

دعينا نتصعلك فى الشوارع حتي ساعات الليل المتأخرة، نخلط الليل بالنهار والشمس بالقمر.. نمحى عقارب الوقت البطيئة والسريعة من لحظاتنا.. نقتسم البرودة بين شفاهنا، ونرتشف فى الحانات الفقيرة أردأ أنواع النبيذ، وبصحبة أشخاص هامشيون يكدحون عناء النهار، ويجمعون قروش قليلة حتي إذا ما اتي الليل بعثروها فى الرهان وعلى كئوس النسيان وساقطات الشوارع المظلمة، وعندما تفرغ جيوبهم منها يطلقون ضحكات وصرخات ولعنات، دعينا نرقص حتي نفقد وعينا أو يعى الحرمان ما حوله من بهجة فيشاطرنا اللهو.

سئمت النظام واتوق لبعض من الفوضى، ربما تكون أكثر متعة، تعالى نلقى بالشروط المدرسية ومحاذير الصحة النفسية والبيئية عرض الحائط، نرقص على أنغام الضفادع، ونتخلص من كل نواقصنا الاجتماعية، نكون أكثر تناغما مع ما نشعر به، نفرغ ما فى حلوقنا على قارعة الطريق ولا نكترث بالمارة..

تعالى نكذب على عجوز تنتظر على شط الايام حبيبها الذى غرق شراعه، ونقسم لها بأنه مازال على قيد الحياة، يبحث فى قاع المحيط عن لألئ ليصنع لها خاتم الزفاف وانه قادم إليها بعد يوم او يومين على الاكثر.. تعالى نرشد الكلاب الجائعة عن صناديق القمامة لتأكل.. وليس كارثيا ان نشاركها مآدبها..

انت امرأة مذهلة أتت فى زمن مزدحم ومتجمد.. سأكون عازلا بينك وبين الجليد حتي لا يتسرب إليك وتشعرين ببرودته.. لكن عدينى أن تحافظى على سخونتك وتوهجك، وحتي إذا نفذت البرودة من خلال اصابعى المتشبثة بك.. فأرجو أن تحلى وثاقى.. فبقاءك يعنى قيمة لحياتي، حتي وأن تجمدت فى قاع المحيط، فأنتي الأقدر على سرد حكايتنا الجميلة لكل العاشقين، وعندها ستكون حياتي شيئا رخيصا لأنها أرتبط بك، وفاضت روحي وأنا اتطلع إليك.

(68)

قوس قزح

وكأنك قوس قزح يحمل ألوانه الخالدة التي تضيء السماء وتزينها.. أهازيج العيد وضفائر الفرحة فى رؤوس البنات البائسات اللائي تهبهن الحياة لينعمن بالستر.. ضحكات الاطفال ونظرة الرضا والطمأنينة وهم في أحضان أمهاتهم، وهج تهادى على أيامى الظمأة فأشبعها.. قبس أبهج طرقى المعتمة وأضاء فيها السراديب الكاحلة، تبخرت فى الجو.. وتلاشيت لتمنحني الحياة، بينما تتساقط أحلامك في قاع المحيط تلتهمها الأسماك المتوحشة، وتمضي دون أن تترك أي شيء يستدل منه على عنوانك أو مكانك، وكأنك تقصد تضليلي، حتي تحرمني من متعة وضع زهور علي قبرك، او الاستئناس بالذهاب إليك عندما توحش الأيام وتستبد في سخطها.

وهبتني الحياة ورحلت فى هدوء.. ومحيت كل الاشياء التي تخصك وتشير إليك حتي إذا ما بحثت عنك اتهمني الناس بالجنون.. كان هروبك الاختياري غير المتوقع بمثابة نهاية سريعة لحكاية لم تبدأ

بعد، وكأنه بداية لشروق شمس في سماء غيم عليها السواد وطاف القمر في ارجائها فجأة.. وأصارحك بأنه أربكنى وقيد من حركتي، ولم يمهلنى الوقت كى اتعقب خطواتك، ربما كنت تدرك كل ذلك، قرارا فرديا لم يراع فيه مشورتي أو تنبيهي.. أو حتي وداع على مرسىٰ وهمي.

لم تترك إلا الحيرة وعلامات الاستفهام.. وليل ملأه السهد والأرق والعذاب.. وأصبح العثور على هذا الضوء ولملمته عملية شديدة التعقيد.. محالة التحقيق.. كنت أعلم أنك زئبقي لم يسمح لى الإمساك بك.. كالبرق يصعب رصده.. نسمه عابرة أتت فى ليلة اعجازية وتوارت مع الريح.. ضبابي يصعب تحديد ملامحه..مازلت اختزن حكاياتك؛ أسرارك ، لم يبق لى غيرها.. باتت الذكريات هى ملجئى وملاذي.. تصبرنى أحيانا ، وتطلق أحيانا سياط الأسئلة المستحيلة؟ التي أعجز عن ايجاد اجابات خيالية لكثير منها.

تستبد بى الوحشة ويتملكنى شعور بالعجز.. مشطورة أنا نصفين أنتظر طيفك من العدم كى ألملمه من جديد.. حتي تعيد الحياة انتفاضتها فى خمولى وانكساري.. أيزيس العصر الجديد التي تطوف الأرض بحثا عن اشلاء اوزريس المنتشرة في الأرض والبحر. قضى على قلبينا ألا يرضيا.. من حرقة لا تنقضى وحزن لا تخمد ناره.. فهل الاستسلام إحدى فضائلى القديمة ذريعتك الآن للخلاص مني..لازال لدى أمل.. أو أن شئت شفقة.. أرجو ألا أحرم منها، في حلم يطوف نومي الذي انقطع بغيابك.

ظللت اسأل نفسى إذا كان الرحيل أحد مشروعاتك المؤجلة، لماذا كان الإصرار فى المجيء؟!! تمضي الأيام بلا أهمية بعدما فقدت قدرتها علي التوهج، وأصبح الهدوء والسكينة عادات يومية متكررة أماتت الرغبة في الحب وصلبت الشرايين وحولت الشغف إلي بلادة. أيها الخارق الاعجازي القادم من كتب التاريخ وأساطير العاشقين لماذا رحلت؟ وهل كان عقابك أن تتركني وحدي لأنعم بالحياة، وأنت لم تدري أنك كنت الحياة، وفيت بالعهد وقصصت حكايتك علي كل العاشقين فظنوا بي السوء، ولم يصدق أحد ما رويته، وتساءلوا من الذي يستطيع أن يهب الخلود للآخرين ويرحل، فقلت لهم أنه حبيبي.. انت..

(69)

الموت البطيء

لم أكن أدرك حينها أننى كنت أحمل نعشى، فرغم هشاشة ثوبك الروزى الفضفاض، إلا أننى لم احتمل ذلك الثقل الذى عانيته.. تطايرت أطرافه لتحجب الرؤية عن أى مساحات للرحمة والطمأنينة وبشرت فى بأسوداد أيامى القادمة.. وبعد فترة ليست بالقصيرة أدركت أنها لم تكن شجاعة، على الأرجح كان عجزاً طوق عنقى وأذهلتنى شدة المفاجأة.. وحاولت أن ابدو طبيعيا، فأقدمت علي فعل أشياء غير طبيعية، فكيف واتتني الشجاعة والبلاهة أن أحمل فستان زفافك علي رجل آخر.

هل كنت أتخيل أنه يوم عرسى، أم سكرة الكارثة أفقدتنى التركيز والتعبير عن حقيقة مشاعرى الثائرة الغاضبة.. بدأت حدود غربتي وانفصالى عن العالم بالفراق عنك، فلم يكن صداماً عابرا يمكن تجاوزه، تقلصت اليد الحانية التي ربتت على كتفى وازاحت عن كاهلى احباطاتي وانكساراتي، وجف النهر الذى كان يروينى واندثر الحضن الذى كان يؤوينى، فصرت بلا احتماء، متجردا من أى زاد، وحيدا فى بلاد جليدية اجهل لغتها وطرق التدفئة بها.

أحيانا كنت أهرول لخوض تجارب جديدة علها تطفئ البراكين المتقدة داخل صدرى، لكنها كانت تزيدنى إلتهابا وأشتعالا وتعلقا بك، وعندما كنت افكر في أن أصب عليك جام غضبي، كنت افشل في ذلك.. فكيف أغضب منك؟ وهل يمكن للشمس أن تغضب من السماء، حتي لو حدث ذلك فمن يستوعب قيظها وبأسها.. أصبحتي يا حبيبتي خارج سياق العتاب، فأنا لا أملك سوى استقبال إشاراتك كى أنفذها برضاء كامل وامتنان رغم ندرتها وشحها، فأى شيء يصدر منك واجب التنفيذ، وما عسانى أفعل غير ذلك، فمسألة الغضب منك ترف لا أملكه ولم تطمح فيه قدراتي المتواضعة، لأن حبك كان يستهويها أكثر.. وأحيانا أخري كنت ألجأ إلي سندرة ذكرياتي المهملة منذ زمن طويل، واستعيد أيامى المهاجرة معك بحثا عن دفء افتقده.. يعيد للألوان زهوتها وبريقها.. ويطوق عنقى بعناقيد الفل حتي اسكر من النشوة فأنام ليلة واحدة حتي ولو مخدوعا، وعندما يحل الصباح أكون قد بدأت دورة العذاب مرة أخري.

هل تذكرين أول يوم ذهبنا للمدرسة معا، عندما قبضت يدي الصغيرة علي يدك الرقيقة، كنت اخاف عليك من الناس، احاول أن امنع عنك الاذي، ولو كنت املك لمنعت نظراتهم المصوبة إليك، لن ابالغ عندما اقول أنني ربيتك وعلمتك الاشياء الأولي، لكني أدركت بعد هذا العمر أنني كنت حارسا أمينا لك، احافظ عليك وأدافع عنك حتي يأتي رجلا آخر ليأخذك واحمل له فستان زفافك، فهل رأيتي رجل بهذه المواصفات المتخلفة، عشت معك كل هذه السنوات أسلي ايامك وأطيب عنها بالحكايات والنوادر، واقضي حاجاتك الكثيرة، اقتسم معك مصروفي القليل، وطعامي والعابي، تعودت على عنادك

وقسوتك، وادمنتها مع الوقت، ولم أعبأ بما كانوا يرددده الحاقدون الصغار من أننى أصبحت تابعا ذليلا لأهوائك، ارضخ لرغباتك الماجنة وأتباهى بها، مضحيا بكرامتي وكبريائى، وهل للكرامة أو للكبرياء قيمة دونك، انفرط عقد الأيام، وتبعثرت الأمانى، ولم يعد لى غير البكاء المتواصل والنحيب الخفيض، على تلك الأيام التي ولت ولن تعود، ورغم كل ذلك، ورغم ما أعانيه من قسوة الفراق، تظل المعاناة هى آخر خيوط الرحمة التي تربطنى بك.. سأواصل الموت البطئ فهو بالنسبة لى الحياة الأبدية.

(70)

الحب وحده لا يكفي

ركضت الأيام وكأنها مهرة عفية اصيلة تعلن عن قدراتها في مزاد علني، وركضت أنت ورائها بما تبقي لك من أنفاس، في اصرار بالغ لملاحقتها مهما كلفك الأمر، وعندما كنت تأخذ هدنة للراحة، كنت تستدعي الذكريات القديمة فتجتاح صدرك وتزود بالوقود لتسترد بعض من العافية لمواصلة العدو برغبة جامعة في الملاحقة، حتي تستطيع أن تظرح سؤالك الوحيد والأخير، لماذا تركتك وحيدا، وارتبطت بغيرك، ونسيت كل السنوات والأيام التي تقاسمنا فيها الافراح والاتراح.

ورغم ادراكك الكامل بأنك تسير في اتجاه الهاوية ظللت تلقي السؤال بشكل متواصل، ظنا منك أن الاجابة ستدمل آلامك وتطفئ النار المشتعلة داخلك، لكن الواقع تغير وتبدلت ملامحه، وبات سؤالك افتراضيا وعبثيا يحاول أن ينبش في الماضي لاستخراج معاناة أخري، لكنني علي اية حال سأجيبك عن استفسارك.

لست في حاجة إلي كلمات استهلالية أو عبارات بلاستيكية شائعة وهشة لأبرئ نفسي من تهم لم اقترفها، لن أنكر أنك احببتني بكل جوانحك، ولبيت كل طلباتي ورغباتي التي طلبتها والتي لم يسعفني

عطاءك المستمر من التفكير فيها أو الشعور بأنها تنقصني، وأصارحك بأنني استسهلت الحياة وتمتعت بها، وانك كنت السبب في ذلك بلا شك.

الحب وحده لا يكفي يا عزيزي.. قد تبدو جملة سخيفة لا يروق حالم مثلك سماعها، خصوصا إذا كان يتذكر كل لحظات عمره بكامل تفاصيلها، ويقدر المشاعر الإنسانية ويحترمها لحد العبادة، وانك لم تحاول أن تأخذ شيئا لنفسك رغم أن الحياة تمضي بسرعة وتتركنا، وكنت أيضا مخلصا ومازلت لقناعاتك ومبادئك التي آمنت بها، وهذه حقيقة لا أمن عليك بها، وحق اصيل يجب الاعتراف به واحترامه في الوقت ذاته، ولكن الحب وحده لا يكفي عندما يكون من طرف واحد، ساعدتني كثيرا جدا، ولكنك أحببتني قليلا، لا تغضب من صراحتي فهناك فروق ما بين الحب والعون، كما أنني لم ابادلك العشق، ربما أكون تعودت عليك، وشعرت بأن وجودك في حياتي شيئا مهما، وهي أمور تحدث عندما نرتبط بالآخرين، نصحو علي وجوههم، وقبل أن ننام نلقي عليهم تحية المساء، ندخل المدرسة سويا، ونشارك بعضنا البعض في العابنا ولهونا، نأكل سويا ونشرب سويا، نتشاجر ونتصالح، نضحك ونبكي، فلم يكن هناك غيرك، ولم تكن هناك غيري، لذلك جاء الارتباط ضرورة حياتية.

أثناء كل ذلك لم يكن لعقلى أى دور، كنت منساقة إليك، لم أفكر فى مشروعية ذلك من عدمه، أو أن العقل يستوعب ما يحدث حولي.. فلا تفترض أشياء عقلية فى حالة غير منطقية، فلا تقحم الحب فى حكاياتنا.. عندما استلمت خطابك تملكنى شعور بالخجل لا أدرى سببه، ووجدت نفسى مطالبة بتبرير أشياء كثيرة لم تكن فى حساباتي..

للحب أشكال أخري وتفاصيل أخري، ربما ابسطها أن نصرح لبعضنا البعض بهذا الحب، ولكنك لم تفعل وسجنت أحلامك وراء جدار خشبي زحف الغبار عليه من جانب، لا تحزن من كلماتي، فلم أعدك بشيء، ولم اقطع علي نفسي عهود، يكفيك أن لديك قصة ترويها أنت فيها البطل الذي ضحي بحياته من اجل امرأة تافهة مثلي، لم تقدر كل ما قدم لها، رغم أنها لم تطلبه!!!

(71)

أغنية قديمة

تتسلل تلك الأغنية القديمة التي مازال صداها يتردد فى دقات قلوبنا.. تعيد اكتشاف الأمكنة المفقودة التي تغيرت ملامحها أو كادت أن تتلاشي، والكلمات التي كنا نرسم بها حكاية لم تتم، ولم تكتب لها نهاية بعد.. نحاول أن نوقف اللحظات والساعات كى لا تمضى وتصير مع الأيام ذكرى نرتشف رائحتها ونتحسر على ما فات ونعيش علي أنغامها، فنشق الزمن شقا، وندخل في قلب الأيام لنستعيد لحظة واحدة من هذا الزمن الجميل، لم تكن حالتنا استثناء، بل كانت امتدادا لحالات أخرى مروية بماء الورد ومعطرة بالياسمين.. لم تمهلنا الظروف لإكمالها، وعندما رضينا بهذا الرحيل المبكر، كانت تأتينا في ساعات المغارب لتدخلنا عنوة إلي عالم الذكريات.

يتسع المدى فى الليل الغميق لتبدأ مآسينا مع التفكير السلبى الذى يواجهنا باحباطاتنا النهارية وقلة حيلتنا وشح حاجتنا وندرة الحياة.. فى الليل تبدأ عملية جلد الذات، ولا نمل من العبث.. ومع شروق الشمس تتوالى كئوس النسيان والتخمة، وما بين اليقظة والغيبوبة يكتمل السقوط لنعاود من جديد ترتيل الشطر الأخير من الأغنية المستحيلة..

أدركت الآن أن الطبيعة كانت ومازالت ضد سعادتنا، وأن النهاية سوف تكون ارحم من تلك العذابات التي نئن من شراستها كل لحظة..

فدغينا نسطر آخر السطور بارادتنا وقناعتنا أو هكذا نمنى أنفسنا بانتصارات مزيفة فى زمن ضن بالفتات، فربما يكون المكسب الوحيد وربما يكون الأخير.. يؤرقنى كثيرا أن تكون مسارات السير معاكسة بقدر يصعب فيه التلاقى، ورغم كل ما يطرأ على مخيلتي من أفكار يائسة وبائسة، تقتحمني البشرة برحابة لقاء عابر، تنقصه الكلمات والحكايات، لكنه يكفى لقلب تجرع من الوحدة والقسوة ما فاض به.

مصادفة أخرى عابرة قد تحمل فى طياتها حلا سحريا لحالتي المزرية، وتطيب تلك الجراح الغائرة، فلم أعد قادراً على تحملها، وأعشم نفسى دائما بلقاء تاريخى يفك تلك الخيوط المتشابكة والمتشعبة، ورغم مشروعية الحلم واستحالة تحقيقه لازلت انتظر. وما عساى غير ذلك، وأنا لا أملك من الأمر شيئا..قدر لى أن ألعب دورى وحدى دون ملقن أو أدوات.. المسرح كبير جدا بحجم وحدتي، يتسع لآلاف الشخوص؛ لكنى وحدى، هكذا فضلت.. الفراغ من حولى موحش ويبدو مخيفا ، واخشي ان تكون ذكري الأغاني القديمة جسرا اراديا ممهدا واختياريا لحتفي، فهل هناك فرصة أخري لسماع أغاني أخري غير تلك التي كانت. أسافر داخلك أركض، ألهث.. أجرى.. أبكي.. أرقص.. أصير كالأطفال، وعندما يحل بى التعب، لا أجد غير عينيك استريح فيها وهي تردد علي نغمات الماضي.. ومثلما كانت هناك أغنية للبداية أتعشم بأن تكون هناك أخري للنهاية، أرددها في ايامي الأخيرة، وتكون عوضا عن الحرمان.

ينتهي العمر أو ينتصف، ومازالت الاحلام المؤجلة تنتظر على المحطات النائية وصول قطار العودة.. لكن المسافات الطويلة البعيدة تحطم كل الاشرعة وتستبيح العواصف العتاد والصبر.. لم يبق سوى الوحشة وسطوة الايام التي تقف عائقا يحجب آخر فرص العودة والتلاقي.. كل قصة حب تنشأ بين اثنين تختزن داخلها أغنية تحكي حكاياتها، لذا تظل الذكريات مرتبطة دائما بالأغاني، فالأغنية تمنح قصص الحب الخلود والعنفوان.

(72)

الطغاه الجدد

عذبتني كلماتك، فلما كلفت نفسك كل هذا العناء، انت رجل وفي وصادق ومحترم، ما كان عليك أن تخط كل هذه الويلات، فأنا ملكك ويمكنك استدعائي في اي وقت تشاء، لقد منحتني قصة جميلة وذكريات راقية، عاملتني فيها كأمرأة وحافظت علي كبرياء انوثتي، هذه اشياء بديهية أمتن لها كثيرا، واسعدتني ومازالت، ولا انكرها ابدا.. ربما يكون الزمن تغير وتشوهت معالمه، وصارت الشوارع الخالية التي كنا نقطعها لم تعد كما كانت وانتشر بها الباعة الجائلين والمتطفلين، وبائعة الورد التي كانت تختفي وراء أكوام الزهور حتي لا تجرح المحبين بنظراتها العفوية أصبحت أكثر غلظة والحاحا. لكنك لم تتغير، فأنت رجل رائع ومثالي، تعيش في عصر ليس عصرك.

انتهي زمن الأغاني والشعر يا حبيبي، وبدأ عصر الإنترنت والموبايل يغزو العواطف ويشيع الفوضي والاباحية، ملتهما في استخفاف كل المعاني الجميلة، ويسن كل يوم قواعد جديدة وغريبة وسخيفة للمحبين، تستوجب أن يكون العاشق بلا قلب، بلا معني، بلا وعي، أنت رجل من زمن، كانوا العشاق يتباهون فيه بما يحفظوه من شعر

وما يقرأوه من أدب، أما الآن فالعاشق حتي يخترق قلب حبيبته عليه أن يكون قليل الادب، وأن يحفظ كثير من النكات الجنسية والتهكمية، وأن تكون له القدرة علي السخرية من اي شيء وكل شيء، فعشاق هذا الزمن يتباهون بملابسهم الداخلية ويظهروها بألوانها الفاقعة حتي يستيطعون بها استمالة قلوب العاشقات.

ليست هناك أحلام مؤجلة، فكل الأحلام والامنيات تتحقق وأكثر منها، لم تعد القبلة ثورة عاطفية تفتت قلوب العاشقين، عندما كانت تتلامس أيدينا بطريق الخطأ كانت تنتابنا حالة من فقدان الاتزان ويزداد ارتباكنا وتحمر وجوهنا وتعجز اقدامنا عن السير، وربما نصاب بالحمي والهذيان، الأمر تطور كثيرا، واصبحت هناك اشياء مستحدثة أخجل من سردها، أو التلميح عنها، ليس هناك عاشق ينتظر حبيبته ويحصي الثواني والدقائق لقدومها، فالعشاق في هذا الزمان لا يفترقون إلا عند الذهاب إلي النوم فقط، كان كيوبيد هو آله حبنا ومازال، اما الآن أصبح الكمبيوتر آلها جديدا يحرك كل شيء من خلال المفاتيح الصماء، حتي المشاعر الراقية تحولت إلي أوامر يمكن ادراتها عبر الاجهزة الالكترونية، لم يعد أحد يهتم بالرسائل الورقية، وتنميقها وتهذيبها بالفواصل والنقاط المنتشرة، كانت خطاباتك الوقورة وسطورها المنظمة، وعباراتك المتساوية التي لم تخرج عن اطارها، هي كل زادي الذي افتخر به واصونه في مقلات العيون.

لا أحد يكتب رسائل الآن علي أوراق رائحتها جميلة، فكل الرسائل ضوئية علنية مكشوفة ومفضوحة للعامة والخاصة منشورة علي صفحات الفيس بوك يلتهمها الداني والقاصي ويعلق عليها بعبارات سخيفة، ولا أحد يغضب، فكل شيء اصبح مشاع ومخترق، فهم

ليس لديهم وقت لكتابة حروف الكلام كاملة، واخترعوا لغة جديدة تختزل الحروف والمعاني لا يجيد قراءتها سواهم، فعشاق هذا الزمان يتكلمون طوال النهار والليل دون كلمة عشق واحدة.

لم تفلح مخططات الطغاه الجدد بكل ما لديهم من اساليب لمحو قصص الحب الجميلة، فبقاءك انت يعني أن للحياة وجه آخر مشرق وبديع، ستبقي أنت وستبقي معك كل الكلمات الجميلة والأغاني الملهمة التي سأظل اشدو بها، فلا تبتأس فمازالت اتنفس الهواء من رحيق كلماتك

(73)

يوم برتقالي

عشت عمري معك أحلم بيوم برتقالي اللون.. اسمع فيه صوتا للضحكة، واري ابتسامة تخرج من القلب فترتسم علي ملامحك دون تزييف، وتمنيت أن اقيم علاقة حميمة حقيقية تسمع فيها الأصوات غير المتفعلة بدلا من هذا العراك الكلابي الذي نمارسه كل يوم خميس، عندما تتحول الأنوثة علي يدك إلي فعل رجولي خشن يفتقد إلي الرومانسية والنعومة، خصوصا عندما تتبدي في الافق روائح البصل والثوم الملوثة به ثيابك.

اصابتني عدوي الأيام الرمادية التي تسكبينها في عينيك كل صباح، بعدما غاب عنك سحرك وتلقائيتك وبدوت مزعجة ثرثارة، كثيرة الكلام قليلة الأفعال وبطيئة الحركة، تتعاملين معي وكأني دجاجة مجمدة تستطيعين اخراجها في أي وقت والقائها في الماء الساخن لالتهامها عندما يشتد جوعك، الحياة قصيرة جدا، وليس من العدل أن نستهلكها في الجدل البيزنطي الذي لا طائل منه سوي الرغبة في اظهار احدانا متلبسا بالتقصير، عشت الحياة اعشق ألوانها الصريحة الفاقعة

التـي لا تقبل الزيف أو التلون، وسـعيت قدر جهـدي ألا أكون روتينيا، أطلق علي الأشياء اسماءها الحقيقية.

ليـس هنـاك ضمانات لأي شـيء، حتي العشـق إن لـم يجـدد هواءه وتجري له عمليات صيانة تقيه من الكوارث يصاب بالعطب والتوقف، لابد من عمليات شحن مستمرة حتي يحافظ علي لياقته ورونقه، لديك اصرار مميت لفتح الموضوعات التي تثير اعصابي، ودفن كل الأشـياء التـي تبعث البهجـة والمتعة، انت امرأة تعاني مـن الازدواجية وانفصام الشـخصية، في البيـت تفتحين صوتك علي مصراعيه وتكسـو الفاظك بتطجينـه تحـرض علـي الانتحـار، بينمـا عندما يـدق جـرس التليفون تتحوليـن إلي امرأة أخري تحمل صـوت ناعم متكلف، تنطق الكلمات بلكنة غريبة ومفتعلة.

اخطائي مشـاعة تنقل في بث مباشر وحصري للقريب والبعيد ويتم التشهير المتعمد لها مع سبق الاصرار والترصد، أما حسناتي فهي عبادة سرية لا يعلم بها أحد لغرض في نفسك، وانت دائما لا تخطأين ويجب حسـن الظن بكل ما تفعليه، وأنا لا اصيب ابدا وسـوء الظن يلتصق بكل ما أفعله، اخطائي كبائر كبيرة لا تغتفر، وعندما تفعلين مثلها فهي صغائر لا يجب الالتفات إليها.

تتزاحـم الكلمـات المخنوقـة داخلـي وتحاول الخروج من شـرنقة الصمـت التـي تكتـوي فيهـا.. تتـأوه وتتوجـع، تطلـق صرخاتهـا يمينا ويسـارا.. تحـاول ان تنطلـق خارج سـجنى الابدي.. تسـعى لان تقفز من فوق أسـوارك الشـائكة لتنفجر في وجهك لتعلـن العصيان.. تتمرد علـى حالتي المزرية التي صنعها عنادك وغباءك وقلة حيلتك وتكشـف

الخدعة التي اغريتني بها حتي وقعت فريسة سهلة فى براثنك.. لتلتهما انيابك المتوحشة..

تحرصين علي أداء المناسبات الاجتماعية ليس رغبة التواصل مع الآخرين، ولكن بدافع عرض فساتينك الجديدة التي تكبلين حياتي بأثمانها الباهظة واغاظة الآخريات، حاولت كثيرا أن اضبط انفعالاتي حتي لا اضطر لترديد بعض الكلمات التي تؤذى مشاعرك، لكنك للأسف تفشلين فى قراءة وجهى، انت امرأة بلا ملامح نجحت في تشويه حياتي، وباعدت بيني وبين أي لحظة ملونة يمكن أن تحدث علي المدي الطويل، وأصبح انتظار يوما برتقاليا وهما من الخيال.

(74)

امرأة رمادية

تريد أن تعيش يوما واحدا برتقاليا قبل أن يصل إليك قطار العمر إلي محطته الأخيرة!! وتريد امرأة تفهم طباعك وتستوعب طموحك، وتريد ان تنعم بليلة رومانسية دافئة علي أضواء الشموع، وتريد.. وتريد.. كل الرغبات تريدها انت، وتملكها أنت، وتحتكرها أنت، وتعبر عنها كذبا وافتراء، ولا يهم تلك البائسة الشاعثة الشريرة التي يجب عليها توفير وتحقيق كل هذه الرغبات وبالصورة التي ترضيها وترضي أنانيتك وصلفك، وكأنني خلقت في هذه الدنيا لأسمع وأنفذ ما تمليه علي ارادتك دون نقاش وبالإمكانات المتواضعة التي توفرها قدراتك الشحيحة، فهل هذا عدلا؟ أنت تحتاج إلي فانوس سحري وليس لأمرأة فقدت توهجها وإنسانيتها بمعاشرتك.

دعنا نفترض جدلا أنني نجحت فيما ذهبت إليه.. فقل لي ماذا ستمنحني أنت نظير كل هذه الخدمات، الرقة التي تفتقدها، ام العرفان بالجميل الذي تبخر وتلاشي مع اتهاماتك الكاذبة، أم دفء العلاقة والحميمية رغم انك تملك قلبا متجمدا ومشاعر معطلة، ليس من المعقول أن تكون كل السنوات التي عشناها سويا بلا انجاز أو ومضة

اشراق مغلفة بلحظات من الصدق!! وإن كانت كذلك، فالجريمة مشتركة بيننا وتلحق اذيال الخيبة بك لأنك رجل فاشل لا تحمل أي جاذبية أو بريق.

اعترف بأنني تحولت إلي امرأة رمادية عابسة بعدما يئست من اصلاحك وفشلت في تحقيق أي نشوة أو انصهار مع رجل برتقالي فشل في اصابتي بعدوي الإحمرار، وأعترف أنني كنت ألجأ لفعل أشياء عبثية لا طائل منها سوي الهروب والتخفي حتي لا يصلني شعور بأنني امرأة مهملة لا تثير فضول حبيبها رغم ما كنت أتكبده من عناء ومشقة لارضاءك وتلبية طلباتك التي لا تنتهي ولا اتلقي عنها شكر او أمتنان، الغريب أنني لم أتغير ولم ابدل عاداتي، فما كنت أفعله بالأمس، احرص عليه اليوم واكثر قليلا، تسريحة شعري التي كانت تروق لك اصبحت تمقتها، رائحة عطري التي كنت تحلق في شذاها بدأت تصيبك بالحساسية والاختناق، ملابسي، مكياجي، طريقة كلامي، لفتاتي، همساتي، بدت وكأنها أشباح شريرة تطاردك وتقلق نومك وتستبيح أيامك وتشدد الخناق عليها. فما الذي اقترفته؟

شيئا غريبا آخر استوقفني ولم أجد له تفسير، تلك النساء اللائي كنت تصب عليهن جام غضبك وسخطك أصبحن ملهمات بارعات تريد أن أحذو حذوهن في كل ما يصدر عنهن، وتحولت عيوبهن إلي مزايا بين ليلة وضحاها، الأمر يحتاج لشرح وتفسير بدلا من اطلاق عبارات جامدة، ربما تعيش أزمة منتصف العمر وتعاني من ويلات شيخوخة بدأت تزحف علي شبابك النضر الذي كنت تتباهي به وجعلتك تشعر بأنك أصبحت غير ملهم، تلك هي ازمتك ليس لي دخل، فلم أشعرك يوما بنواقصك الكثيرة التي بدأت تتوالي في السنوات الأخيرة والتي

افقدت كثير من هدوئك واتزانك، كنت دائما ومازالت أحاول أن اخفي تلـك الثقـوب التي راحت تتكاثـر وتنمو، واقنع نفسـي بأنه من المحال دوام الحال.

أخيـرا، لـو أردت أن تعيش يوما برتقاليـا، فعليك أولا أن تكون أنت برتقاليـا، وأن تكتسـي ملامحـك بالتفـاؤل والبهجة.. حتـي إذا ما جاء اليوم البرتقالي وجدك ملائما لأن تمنح شرف معايشته، أما تلك الطباع الرماديـة التـي تتحلـي بها فهـي تحمل داخلها أسـباب ملحـة للذهاب لطبيب نفسي.

(75)

المتوهجة

هناك قصة وحيدة تمنيت أن أعيشها.. أنتي كنت بطلتها، رغم اختلاف الطباع والأهواء تبدو هناك مساحة عبقرية نستطيع أن نبني عليها أحلام كثيرة، لو كانت منحتنا اياها أقدارنا، لم يكن فرق السن بيننا يمثل عائقا لإتمام تلك الحكاية الجميلة، فأنت في النهاية كائن متكامل، يفهم طبيعة الأشياء ولديك قدرات فائقة وخيالية علي التواصل مع الآخرين وفهم شخصياتهم كل حسب درجات قبوله ورفضه لما يحيط به، تملكين قلب في نعومة الياسمين ونصاعة اللؤلؤ.

منذ سنوات بعيدة بعيدة جدا، بينما كنت مازلت طفلة تشب علي الحياة بطموحات فاقت عمرها، وتفوقت علي كل اقرانها وجيلها، كنت أنا في مرحلة نضوج تمنعني من اجتياز حدود بدت وكأنها محرمة، في ذلك الوقت أتذكر أنني رددت عليك عبارة مازلت أذكرها «انت حب يتجدد عند كل لقاء» فقد كانت عيناكي المتوهجة تحرضني علي البوح والاعتراف.. لكن الخجل وأرث طويل من العادات والتقاليد منعني من أردد عليك ما كان يجول بخاطري وما يختبئ داخل صدري من

مشاعر، أرقي من الحب وأنقي من العشق.. وأسمي من أن تطلق عليها علاقة عاطفية بين رجل وامرأة.

تمر الأيام والسنوات ولا نلتقي، وعندما يأتي لقاء عابر في مناسبة اجتماعية تزدحم بالغرباء، يتكرر الوهج الصارخ الذي ينطلق من عيونك ليسكب توقده في قلبي المتعب والمتخاذل، فرقت بيننا السبل يمينا وشمالا.. لكن بقيت قصة حبنا التي اختزنت في الضلوع تفتت العظام وتنخر فيها، وكنا نخشي أن نفصح عنها حتي لأنفسنا.

تقول الكلمة المأثورة أن كل رجل يحتاج إلي امرأة تقف خلفه وتدفعه إلي النجاح والتميز وتحقيق طموحاته، أنت الوحيدة في هذا العالم التي تحتاجين فيها إلي رجل يقف خلفك يدفعك لتحتلي مكانتك التي تليق بك، فطلتك وكاريزميتك وقدراتك الهائلة لا تحتاج إلي عين خبير ليكتشفها فهي واضحة وضوح الشمس الساطعة في السماء التي لا يحد من أشعتها شيئا، لذلك ستظل مأساتك هي وجود رجل يحمل مواصفات قديس ليعيد اكتشافها.

لم يكن الامر هينا، لكني جازفت وفتشت فى ذاكرتي عن طرق جديدة لأفك قيود حروفي، وأشعل الحريق فى ابجديتي المطوقة بالسلاسل الهلامية والتي استباحت عمري.. وسخرت من كل أحاسيسي.. واتهمتنى بأننى رضيت على نفسى العبودية والذل، فكيف اتخلي عن من وصفتها الأسطورة بأنها «صبية رشيقة القد، قاعدة النهد، ذات حسن وجمال وقد واعتدال، وجبين كغرة الهلال وعيون كعيون الغزلان، وحواجب كهلال رمضان وخدود مثل شقائق النعمان وفم كخاتم سليمان، ووجه كالبدر في الاشراق ونهدين كرمانتين باتفاق وبطن مطوي تحت الثياب».

قد يبدو من سطورى أننى أتحلى بالشجاعة، وهذا ليس صحيحا، فلم يعد هناك شيئا آخر، ولم استطع أبدل دموعى بضحكات.. وأحباطاتي بانتصارات.. وأن أرسم على صفحة مياه نهرى أملا للبائسين..وجسرا ليتواصل عليه غيري من المعذبين، علمنى حبك أن أموت واقفا شامخا.. لا أخفض رأسى حتي وأن اعتراها السقم، ولا اتنازل عن كبريائى، حتي لو تحطمت جداره الواقية، ان آخر آمالي هي دفعك للامام حتي تحتلين مكانا أنتي جديرة به حتي ولو علي اشلائي.

(76)

قديس

لماذا ابحث عن قديس وأنت موجود، فأنت القادر علي فك قيود إبداعي ومحو طلاسم لغتي، ودفعي نحو الخلود، مازلت إمكاناتي معطلة لم يستطع أحد اكتشافها غيرك، فأنت الوحيد من استشفها وأدرك أبعادها، تتهاوي جبال الصبر، تركض أيامي إليك مهرولة فرحة بشوشة.. وكأنها طفل يلقى بنفسه فى احضان أمه.. لتعلن أسرارى أمامك دون خجل.. وتخبرك بانني عاشقة سهرت الليل وأحصت النجوم في انتظارك الطويل، تأخرت كثيرا في كشف احاسيسك الرائعة، ولكن مازال لدينا وقتا كافيا، ليس لدفعي إلي الصفوف الاولي، وأنما لنقف معا نرتشف الحياة ونسكر من لذتها.

لم أخطط التسلل إليك، فأنت لم تبرحني قط، ولم يكن بذهنى أن أتجاوز أى حدود معك، ولو أن ذلك لم يغير من طبيعة احساسى تجاهك.. ودون أن أدرى وفى لحظة اعجازية بدأت أراقبك.. اعترف أننى عشقت النظر إليك، حتي حرضتنى عينيك على الإبحار بها.. هناك سطور وكلمات لم تكتبها قرأتها في ضحكاتك الطفولية.. لست فى

حاجة لاختراع كذب، أحببتك من أول طلة، وكنت أعشم نفسي بأنك سوف تكتشفني بسهولة وتفضح صمودي المصطنع.

كان يجب أن أعرفك منذ زمن طويل كعاشق، تمنيت أن نبني علاقتنا بتلك العفة والبراءة التي تملأ قلبك، أما المسمى فلم يكن يشغل بالي.. أحبك بشكل يحفظ كبرياءك.. ولا يطول من وقارك.. وأشعر أنك تبادلني الحب وتتواصل مع همساتي التي تسافر إليك ليلا.. لكنه حب من نوع آخر.. ليست به رغبة.. فأنت الشاهد الوحيد علي طفولتي ونضوجي.

نعم أنت حبيبي.. أنفاسك، عباراتك، الجمل الساحرة التي تصفني بها.. لا تدع جداراً تتواري خلفه، تفضحك وتكشف عن فيضانات حبك، ولا تمنحك فرصاً للهروب من أقدارك وأقداري، تخيلت أن فصول العشق انتهت وذهبت بعيدة في بلاد نائية لا سبيل للوصول إليها، فطبيعة علاقاتنا فرضت علينا شروط ظالمة، جعلتنا نرضخ لما يحيط حولنا من أعراف وتقاليد منعتنا من البوح والاعتراف. ورغم كل ذلك فإن ما تبقى من زمن يكفي.. فأنت القادر علي ادخالي أزمنة ألف ليلة وليلة حيث الفتنة والجمال والحكمة والخيال والحكايات الجميلة في بلاد الخيرات والثمار، الزاخرة بالنعم والنفائس، عندما يلم الليل صقيعه البارد ليبتلعه فجر حالم مؤذنا بميلاد صباح جديد سأكون أنا في حضرة عشقك المبلل بماء الورد ورائحة النعناع والعنبر.

كنت اتخيل أنني سوف أعيش على الذكرى، لكنك حبك فاجئني بما كان فوق قدراتي وأحلامي وآمالي، وأنعم على ببدايات الحياة من جديد. كل تلك القدرات التي تكلمت عنها، استمديتها منك، ودونك ليست ليه طلة أو كاريزما.. عيني تفضحني وتجهر بكل الأشياء،

أحبك.. أحبك.. سوف أطلقها فى وجهك دون استئذان.. ولن أخجل منها.. وأرجو ألا تخجل منها أنت، لقد علمنى حبك أن أكون فطرية وبديهية، ماذا تفيد الطريقة المثلى، أو غير المثلى، فعشقك الحقيقة الوحيدة فى حياتي.. ولا يعنيني أن تكون قديسا أو عربيدا، فمعك تبدأ حكايتي الجميلة وقصتي التي لن تغرب شمسها ابدا، فيكفي ما فات، لن افرط في اللحظات القادمة، فأنت من الآن ملك لي، وأنا ملكك، فلا تهمني تقاليد أو أعراف، تكفيني أنفاسك الممتدة عبر حنجرتي فهي ما تمدني بالحياة.

للنشر والتوزيع